الأستاذ / عمرو خالد

وقضية هل

# الذكر يمحو الذنوب

إعـــداد

أحمد عزب

دار الروضة

للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

٢٠٠٤ م ـ ١٤٢٥ هـ



رقم الإيداع : ٤٣٥٦ / ٢٠٠٤

دار الروضة ـ للنشر والتوزيع

٢ درب الأتراك خلف جامع الأزهر

٥٩١٣٤٢٤ ـ ٥٠٦٦٨٨٤ فاكس : ٥٩٢٧٣٦٤

# مُقَدِّمَة

الحمـــد لله الذي يُطعم ولا يطعم، منّ علينا فهدانا وأطعمنا وسقانا وكل بلاء حسن أبلانا.

الحمد لله الذي أطعم من الطعام، وسقى من الشراب، وكسا من العري، وهدى من الضلالة، وبصّر من العمى، وفضل على كثير ممن خلق تفضيلا.

الحمـــد لله رب العـــالمين، اللهم صلي وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

**لقد قرأت يوماً محاضرة مكتوبة للأستاذ عمرو خالد تحدث فيها عن الذكر وفوائده فأوحت لي المحاضرة أن أعلق عليها ونقلتها لكم كما هي في وسط الكتاب حينما جاءت المناسبة لذكرها حتى تعم الفائدة وأردت أن يخرج القارئ من هذا الكتاب مغفوراً له بذكره لله سبحانه وتعالى والله الموفق ..**

**أحمد عزب**

# المعاصي وأخطارها

اتقوا الله تعالى حق تقواه بأن تطيعوه فلا تعصوه، وتذكروه فلا تنسوه، وتشكروه فلا تكفروه، فإنكم بذلك تحفظون نعمة الله عليكم، وتضمنون استقرارها لديكم، وتأخذون بأسباب وصول مزيد فضله وإحسانه إليكم، وتدفعون المصائب عنكم وحلول النقم فيكم " وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد."

أيها المسلمون: احذروا المعاصي فإنها بريد الكفر، وموجبة لسلب النعم، وداعية للنقم، وتنقص العمر، وتنزع البركة من الرزق، وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، وهي تظلم القلب وتقسيه، وتحول بينه وبين نور العلم وسبيل الهدى، وإن المعصية لتجر صاحبها إلى معصية أخرى. قال بعض السلف: ( إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها).

فالمعصية تحبب العاصي إلى جنسها، وتثقل عليه الطاعة بعدها، حتى يألف الرجل المعاصي، ويصبح من المصرين عليها، حتى أنها ليفعل المعصية مع علمه بحكمها وعظيم خطرها، وربما لا يجد اللذة لها، ولكن بحسب الإلف والعادة. واعتبروا ذلك بحال من شأنهم التخلف عن الصلاة، أو الإدمان على المسكرات والمخدرات، وأكلة الربا، والذين يحلقون اللحى، والمتبرجات، والمترجلات من النساء، حيث يزين لأحدهم بسبب إصراره على المعصية سوء عمله، وينسى عاقبة أمره بعد حلول أجله: " أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون."

فيكون ذلك من أسباب سوء الخاتمة عند حلول القاصمة، حين يكشف عنه الغطاء، ويظهر ما خفي بسببه غلبة الهوى، وإيثار الحياة الدنيا، فتجدون العصاه يتحسرون عند

الموت، يقول العاصي: " يا ليتني قدمت لحياتي "، " رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين " . " رب ارجعون * لعلي أعمل صالحا فيما تركت."

ومن أخطر أضرار المعاصي أيها المسلمون أنها تنزع الحياء من نفس العاصي حتى يجاهر بها، ويعلنها أمام الداني والقاصي. وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: " كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول: يا فلان! عملت البارحة كذا وكذا. وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه " متفق عليه.

وإن من الناس من يفتخر بمعصيته، ويرى أنها ضرورة لحاله، فلا يزال يرتكب الذنب بعد الذنب حتى تهون عليه المعصية، وتصغر في قلبه الخطيئة، وذلك من علامات موت القلب وفساد الفطرة، فإن الذنب كلما صغر في عين العاصي عظم عند الله عز وجل. واحتقار المعصية علامة من علامات النفاق، وبرهان من براهينه بالاتفاق، ففي الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: " إن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا."

واحتقار الذنب واستصغاره والتهوين من شأنه من أسباب الإصرار على المعصية الذي جعله الله من أسباب منع المغفرة، وطمس القلب واتصافه بالغفلة، قال تعالى: " وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن "، وقال سبحانه: " فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين."

أيها المؤمنون: إن خطورة الاستمرار على المعاصي تظهر ثمرتها عند فراق الدنيا والإقبال على الآخرة، حيث يحال بين المرء وقلبه في أحوج لحظة، وعند أعظم مصيبة، حيث تعرض له معاصيه التي كان مصراً عليها، فيزينها له الشيطان فيهذي بها، حتى تحول بينه وبين النطق بشهادة الحق.

ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى أن رجلاً حضره الموت فقيل له: قل: لا إله إلا الله، فجعل يهذي بالغناء، ويحكي صوت آلته، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، وقيل لآخر:

قل: لا إله إلا الله، فقال: هو كافر بما يقول ثم مات. وقيل لثالث: قل: لا إله إلا الله، فقال: كلما أردت أن أقولها فلساني يمسك عنها. وقيل لأحد التجار عند الموت: قل: لا إله إلا الله، فقال: هذه القطعة رخيصة، هذا المشتري جيد. وكان رجل يطفف في الوزن فقيل له عند الموت: قل: لا إله إلا الله، فقال إنه لا يستطيع أن يقولها لأن كفة الميزان ثقيلة على لسانه وهكذا خطر المعاصي على أهلها قد يدركهم – إن لم يتوبوا – في الدنيا أو في الآخرة، فتوبوا إلى الله عباد الله من كل معصية، واعتذروا إليه من كل خطيئة، فإن التوبة النصوح يمحو الله بها السيئة، ويستر بها من الفضيحة، ويصرف الله بها العقوبة، ويكمل بها الإيمان، ويعصم بها من النيران، ويورث بها الجنان قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٨ ﴾

(التحريم ٠٠٨)

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً ما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أيها الناس: اتقوا الله تعالى حق التقوى، واحذروا أسباب سخط الجبار، فإن أجسامكم على النار لا تقوى، واعلموا أن لكل ذنب عقوبة قد تصيب المذنب، لكن لغفلته وإعراضه لا يحس بها، وقد تتأخر عنه فيظن لجهله أنه قد أعفي منها، وقد يصرف الله العقوبة بسبب من الأسباب التي جعلها صوارف للعقوبات، كالتوبة من السيئات، أو خالص الدعوات، أو المصائب المكفرات، أو الحسنات الماحيات، أو عفو رب الأرض والسماوات، فإن لم يصرف الله عنه العقوبة فإنه على خطر منها، ولو في

آخر العمر، أو في القبر، أو يوم الحشر، وفي الحديث: " إذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه العقوبة بذنبه حتى يوافي به " والله عليم حكيم.

أيهـا المسلمون: وعقوبات السيئات والمعاصي نوعان: عقوبة شرعية دينية كالحدود، كجلـد الزاني غير المحصن، ورجم المحصن، وقطع يد السارق، وعقوبات المفسدين في الأرض، بالقتل أو الصلب، أو قطع الأيدي والأرجل من خلاف، أو النفي من الأرض، وكذلـك حد القصاص وسائر التعزيرات المقدرة شرعاً أو إجماعاً أو اجتهاداً، ومن لم ينل جزاءه في هذه الدار شرعاً طهره الله بما يصيبه من مصائب في نفسه وأهله وماله. قال النبي ﷺ في الحدود: " فمن أصاب شيئاً من ذلك فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له وطهور."

فإقامـة الحـدود والتعزيرات الشرعية في الدنيا تطهير لأصحابها من أرجاس الذنوب، ونجاة لهم من عذاب الآخرة، ومن قصر في الحكم عليه أو تنفيذه فألحقه من العقوبة في الآخـرة بقدر ما نقص في الدنيا. ومن لم يطهر في هذه الدنيا من العصاة طهر بتشديد المـوت علـيه ومـا يصـيبه مـن عـذاب القـبر وأهـوال يـوم القـيامة.

فـإذا أقيمـت العقوبات الشرعية في الدنيا، رفعت العقوبات القدرية أو خففتها، ولا يكاد الرب سبحانه يجمع على عبده بين العقوبتين، إلا إذا لم يف أحدهما برفع موجب الذنب، ولم يكن فيه زوال دائه.

أما إذا عطلت الأحكام الشرعية بسبب تحكيم القوانين الوضعية، أو هوى الراعي، أو احتيال آحاد الرعية، استحالت العقوبات على الذنوب إلى قدرية كونية، وربما كانت أشد منها، وربما كانت دونها، ولكن الأخطر أن العقوبات الكونية القدرية تعم الخاصة والعامة، فلقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه، وقال تعالى: " واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة."

ومن هذه العقوبات ما يلاحظ وقوعه عاماً في هذه الأزمان في سائر الأقطار من الحروب الأهلية المدمرة، والفتن العظيمة المحيرة، والجدب، والقحط، والسنون، والفيضانات، والغرق الذي عم كثيراً من الديار، وكذلكم الزلازل والخسف، والرياح، والثلوج، فإنها بسبب الجرأة على معاصي الله، وتعطيل أحكام الله وحدوده في العصاة، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

(الأنعام ٠٤٤-٠٤٥)

وقال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

(العنكبوت ٠٤٠)

وقال تعالى في قوم نوح: " فأخذهم الطوفان وهم ظالمون ،" وقال في أهل سبأ: ﴿ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾

(سبأ ٠١٦-٠١٧)

فهذه المصائب الجانحة والفتن العامة هي نتيجة لكفر نعم الله والخروج عن طاعته، وتعطيل تحكيم شرعه، وإقامة حدوده " وما ربك بظلام للعبيد."

وهكذا ما يصاب به العبد من الهم والحزن والقلق والأرق والتعب والمرض وضيق

المعيشة ونقص الحيلة، ونحو ذلك، كل ذلك قد يكون من العقوبات المكفرات، وقد يكون سبباً لرفعة الدرجات، وقد يكون من العبر والعظات التي ينذر الله بها العصاة، يقول تعالى: " وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير."

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

عباد الله " *:إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون.* "

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.



# معاصي اللسان

اخوة الإيمان، سوفَ أذكرُ لكم إن شاء اللهُ بيانَ بعضِ معاصي اللسانِ لتكونوا على بيّنةٍ مـن أمرِكم ولتُعلِّموها غيرَكُم إنقاذاً لهم من المهالكِ فإنَّ أكثرَ المهالكِ والمعاصي سببُها اللسانُ الذي جرمُه صغيرٌ وجُرْمُه كبير. وسنبدأُ بتعريفِ الغيبة، روى مسلمٌ والترمذيُ وأبـو داودَ من حديثِ أبي هريرةَ ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال :" أتدرونَ ما الغيبة ؟ قالوا : اللهُ ورسـولُه أعْلَـم، قال :" ذكْرُكَ أخاكَ بما يكرهُ، قيل: أفرأيتَ إنْ كانَ في أخي ما أقولُ، قالَ: إن كانَ فيهِ ما تَقُولُ فقد اغتَبْتَهُ، وإن لم يكنْ فيه ما تقولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ ". فمن ذكـرَ أخـاهُ المسلمَ بما يكرهُ مما فيهِ في خلفه فقد وقعَ في الغيبةِ المحرّمةِ سواءٌ كانَ هذا المسـلمُ المذكورُ ميّتاً أو حيّاً، سواءٌ كان الكَلامُ عنه مما يتعلقُ ببدنه أو نسبه أو ثوبه أو دارِه أو خُلُقِـه كـأن يقـولَ: فلانٌ قصيرٌ، أو أحوَلُ، أو أبوهُ دبّاغٌ أو إسْكَافٌ عاملُ أحذيـة، أو فـلانٌ سيّءُ الخُلُق، أو قليلُ الأدبِ أو لا يَرَى لأحد حقّاً عليه، أو وَسِخُ الثـيابِ، أو دارُهُ رثّـةٌ، أو وَلَدُه فلانٌ قليلُ التربية، أو فلانٌ تحكمُهُ زوجتُهُ، أو قليلةُ الـنظافة، ونحوُ ذلك من كل ما يَعلَمُ أنّهُ يكرهُهُ لو بَلَغَهُ، وهذه الغيبةُ إن كانت في أهلِ الصّـلاحِ والتقوى يا عبادَ الله فهي لا شكَّ كبيرةٌ من كبائرِ الذنوب. واعلموا يا عبادَ اللهِ أنّه كما تحرمُ الغيبةُ يحرمُ السكوتُ عليها معَ القُدرةِ على النهيِ فإنْ عَجَزَ عن النهيِ يفارقُ ذلك المجلسَ الذي فيهِ الغيبة. ثم إنَّ الغيبةَ يا عبادَ اللهِ قد تكونُ جائزةً بلْ واجبةً وذلـكَ في الـتحذيرِ من ذي فِسقٍ أو بِدعةٍ اعتقاديةٍ منَ البدعِ التي هي دونَ الكفرِ، كالـتحذير من التاجرِ الذي يَغُشُّ في معاملاته أو تحذيرِ صاحبِ العمل مِن عامله الذي يخونُـهُ، وكالـتحذير مـنَ المتصدِّرينَ للإفتاء أو التدريسِ أو قراءةِ القرءانِ معَ عَدَمِ الأهلـيّة، فهـذه الغيبةُ واجبةٌ. واعلموا يا عبادَ اللهِ أنَّ التحذيرَ من العامِلِ الذي يَغُشُّ

صاحبَ العمل ليسَ أمراً مذموماً كما يظنُّ بعضُ الجهالِ فيُسمّونَ ذلكَ قطعَ رزقٍ بل إنَّ التحذيرَ من مثلِ هؤلاءِ فيهِ ثوابٌ فقد قال ﷺ :"من غشّنا فليسَ منّا". كان بعضُ السّلفِ ومنهم سيدُنا عليٌّ رضي اللهُ عنه يَمْنَعُ القُصّاصَ الذين يجلسون ويتكلمونَ بأخبارٍ من غيرِ تمييزٍ بينَ الكلامِ الصحيحِ وبين الكلامِ الفاسد ليتسلّى بهمُ الناسُ. فنحنُ علينا أن نقتديَ بأئمة الهُدى ولا نخافَ في اللهِ لَومةَ لائمٍ، علينا أن نقولَ الحقَّ ولا نخافَ في اللهِ لومَةَ لائمٍ علينا أن نقولَ الحقَّ وإن كان مُرًّا، قولُ الحقِّ مُرٌّ على كثيرٍ من النفوسِ، كثيرٌ من النفوسِ إذا قلتَ لهم قولاً حقًّا يكرهونَكَ، يَتَأَذَّوْنَ منكَ، عليكَ أن لا تبالي، لا تنظر الى رضاهُم وغَضَبِهِم وكراهيتِهِم، انت انظرْ الى أن تأتمرَ بأوامرِ اللهِ. اللهُ أمرَ بالتحذيرِ من الذينَ يُحرّفونَ شريعتَهُ. واذكر قولَ القائل :

إنْ صحَّ منكَ الرِضا يا مَنْ هو الطلبُ فلا أُبالي بكلِّ النّاسِ إنْ غَضِبُوا

واذكر حديثَ رسولِ الله :" إذا رأيتَ أُمّتي تَهابُ أنْ تَقولَ للظّالمِ يا ظالمُ فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنهُم" أي حَجَبَ عنهُم نُصْرَتَه، تخلّى اللهُ عنهم أي هَلَكُوا، فمن عرفَ من شخص أنّهُ يريدُ مصاحبةَ شخصٍ وهذا الشخصُ يُفسدُ ويضُرّ يجبُ عليه أن يحذِّرَه منه، وكذلك الحالُ بالنسبة لمنْ أرادَ أن يشاركَ شخصاً أو يخطبَ بنتاً. إخوةَ الايمان، إنَّ من معاصي اللسانِ أيضاً النميمةَ وهي نقلُ القولِ للإفساد ويرادُ بها التفريقُ بينَ اثنينِ وإيقاعُ العداوةِ بينهما وحصولُ القطيعة بينهما كأن يقولَ لهذا : فلانٌ قالَ عنكَ كذا ويقول للآخرِ : فلانٌ قالَ عنكَ كذا وهذا من كبائرِ الذنوبِ. ومن معاصي اللسان أيضاً يا عبادَ اللهِ التحريشُ بين اثنين ولو من غير نقلِ قولٍ ولو بين البهائمِ كالتحريشِ بينَ الديكينِ أو الكَبْشَيْنِ ليتقاتلا ومن معاصي اللسان أيضاً الكذبُ وهو الكلامُ بخلافِ الواقعِ، وهو حرامٌ بالإجماعِ سواءٌ كانَ الشخص مازحاً أو جادًّا. وأشدُّ ما يكونُ من ذلكَ إذا كانَ يتضمنُ تحليلَ حرامٍ أو تحريمَ حلالٍ أو ترويعَ مسلمٍ. ومن معاصي اللسان أيضاً الحَلِفُ باللهِ كذِباً وهو من كبائرِ الذنوبِ وما أكثرَهُ في أيامنا هذه خصوصاً في الأسواقِ.

ومــن معاصــي اللســان أيضاً يا عبادَ الله قَذفُ المسلمِ بالزِّنى وألفاظُ القذفِ كثيرةٌ حاصِــلُها كلُ كلمةٍ تَنْسُب إنساناً أو واحداً من قرابتِه إلى الزِّنى كقولِ بعضهِم يا زاني أو يــا ابن الزانية، وهذا من كبائر الذنوب أيضاً، ومن معاصي اللسانِ سَبُّ الصحابة وســبُّهم عــلى وجه الإجمال كفرٌ والعياذُ باللهِ. ومن معاصي اللسانِ شهادةُ الزُّورِ أي الكــذبُ، وهو من أكبرِ الكبائرِ ومن معاصي اللسانِ مَطْلُ الغني أي تأخيرُ دفعِ الدينِ مــع غِــناهُ أي مقدرتِه، وإنما عُدَّ ذلكَ من معاصي اللسانِ لأنه يتضمّنُ الوعدَ بالقولِ بالوفــاءِ ثم يُخلِــف. ومن معاصي اللسانِ سبُّ المسلمِ ولعنُهُ وهو من كبائرِ الذنوب. ومن معاصي اللسانِ الاستهزاءُ بالمسلمِ أي التحقيرُ له وتكليمُه بكلامٍ مُؤذٍ لَهُ بغيرِ حقٍّ. ومــن معاصي اللسانِ الكذبُ على اللهِ وعلى رسولِه وهوَ من الكبائرِ، ومنه ما يُؤدِّي بصــاحبه الى الكفرِ وذلك كأن يَنْسُبَ الى اللهِ تحليلَ ما حرَّمَهُ في شرْعِهِ وكذلك نسبةُ تحريمِ ما أحلَّهُ للمؤمنين. ومن معاصي اللسان الدعوى الباطِلَةُ كأنْ يدّعيَ على شخصٍ مــا لــيسَ لَهُ اعتماداً على شهادةِ الزُّورِ أو على جاههِ وسلطته. ومن معاصي اللسانِ الطَّــلاقُ الــبِدعيُّ وهو ما كانَ في حالِ الحيضِ أو النفاسِ أو أن يُطلّقَ امرأتَهُ في طُهرٍ جامَعَهــا فــيه، ومعَ حُرمةِ ذلكَ فإنَّ الطَّلاقَ فيه واقعٌ. والحكمة من تحريمِ ذلكَ أنَّ في ذلــك إطالة مُدَّةِ العِدَّةِ. ومن معاصي اللسان أن يقولَ الرجلُ لزوجته أنت عليَّ كظهرِ أمّي أي لا أجامعُك ويُسَمَّى ذلكَ الظِّهارَ وهوَ من الكبائرِ. ومن معاصي اللسان اللحنُ في القرءانِ بما يُخِلُّ بالمعنى، أو الإعراب وإنْ لم يُخِلَّ بالمعنى كأن يقرأَ بدلَ صراطَ الذينَ أنعمــتَ علــيهم بفتحِ التاءِ صراطَ الذين أنعمتُ عليهم بضمِّ التاءِ، أو كأن يقرأ بدلَ صراطَ الذين بالذال المُعْجَمَةِ صراطَ الزين بالزّاي، وأكثرُ ما يَلْزَمُ الاهتمامَ بقراءته هو ســورةُ الفاتحةِ لأنَّها ركنٌ من أركانِ الصلاة ولا تَصِحُّ الصلاةُ بدونِهَا فمنْ أخلَّ ببعضِ حــروفِ الفاتحةِ لا تصحُّ صلاتُهُ. إخوة الايمانِ، إنَّ هذا اللسانَ نعمَةٌ عظيمةٌ فهنيئاً لمنْ حَفِظَــهُ من المحرّماتِ، فقد ثبتَ عن أحدِ الصحابةِ أنه أخذَ لسانَه وخاطبَهُ: يا لسانُ قلْ خــيراً تَغْنَم، واسكتْ عن شرٍ تَسْلَم منْ قَبلِ أن تندم، إني سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول:

"أكـــثرُ خطايــا ابنِ ءادمَ مِنْ لِسَانِه". وسنُكمل لكم إنْ شاءَ اللهُ في خُطبةٍ أخرى بقيّةَ الباب لأهمّيته.

يقولُ اللّهُ تعالى في كتابِه العزيزِ:

﴿يا أيها الناسُ اتقوا ربَّكم إن زلزلةَ الساعةِ شيءٌ عظيم، يوم ترَوْنَها تذهلُ كل مرضعةٍ عمــا أرضــعَت وتضعُ كلُّ ذات حملٍ حملَها، وترى الناسَ سُكارى وما هم بسُكارى ولكنَّ عذابَ الله شديد﴾. واعلموا أن الله أمرَكم بأمرٍ عظيمٍ أمرَكم بالصلاة على نبيِّه الكــريمِ فقـــال: ﴿إنَّ الله وملائكتَهُ يُصلُّونَ علىَ النَّبيِّ يا أيها الذين ءامنوا صلوا عليه وســلّموا تســليمًا﴾ اللهمَّ صلِّ على محمدٍ وعلى ءالِ محمد كما صليتَ على إبراهيمَ وعلى ءالِ إبراهيم وبارِك على محمدٍ وعلىَ ءالِ محمد كما باركت على إبراهيمَ وعلى ءالِ إبراهــيمَ إنكَ حميد مجيد، اللهمَّ اغفرْ للمُؤمنينَ والمؤمنات الأحياء منهُم والأموات إنَّــكَ سميعٌ مجيبُ الدَّعَوات عبادَ الله "إن الله يأمرُ بالعدلِ والإحسان وإيتاء ذي القُربى ويــنهى عــن الفحشــاءِ والمنكرِ والبغي، يعظُكم لعلكم تذكَّرون" اذكروا اللهَ العظيمَ يذكُرْكم واشكروهُ يزدْكم، واستغفروهُ يغفرْ لكم واتَّقوهُ يجعلْ لكم من أمرِكم مخرَجًا.

أيها المسلمون : يقول الله تبارك و تعالى في وصف المؤمنين من عباده : " وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين "

*اللغو أيها المسلمون :*

خـــوض في باطل ، و تشاغل بما لا يفيد . أمر الله سبحانه بالإعراض عنه ، و نهى عن الوقوع فيه ، ففيه مضيعة للعمر في غير ما خلق الإنسان لأجله . إنه مخلوق لعبادة ربه ، و الخلافة في هذه الأرض بالعمل المثمر الصالح ، و الحياة النافعة الجادة .

من أجل هذا كان البعد عن اللغو و الإعراض عنه من دلائل الكمال و الفلاح ، لقد ذكره الله سبحانه بين فريضتين من فرائض الإسلام المحكمة ، ذكره بين فريضتي الصلاة

و الزكاة ، فقال عز شأنه : "قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ ﴾

(المؤمنون ١٠٠١-٠٠٥)

أيها المؤمنون اللغو في شتى صوره : خوض في باطل ، و تحدث بالمعاصي ، و ترويج للفواحش ، و تتبع للعورات ، و تندر بالناس ، و انتقاص و سخرية بهم . و نصيب النساء في ذلك راجح . فليتق الله كل مؤمن و مؤمنة ، فويل لكل همزة لمزة . وويل لكل حلاف مهين هماز مشاء بنميم .

أيها المسلم : لو نظرت فيما يشغل الناس في فراغهم و غير فراغهم لرأيت ما يروع من لغو الحديث و العمل . ألا يروعك أن تجد القصص المنشورة ، و الصحف المشهورة ، و الكلمات المذاعة ، و الصور المبثوثة . إنها في أغلبها لغو . . تنشغل به الأعين ، و تمتلئ به الآذان ، و تلوكه الألسن .

و إن من أعظم ما تنشغل به الكافة من صنوف اللغو . . الكذب و النميمة و شهادة الزور و الغيبة ، و السباب ، و الشتائم ، و اللعن و القذف ، و التقعر في الكلام و التشدق فيه من أجل التعالي و استدرار المديح

بل إن في الناس من يعيش صفيق الوجه ، شرس الطبع ، لا تحجزه مروءة ، و لا يردعه دين أو أدب . . جرد لسانه مقراضاً للأعراض بكلمات تنضح فحشاً ، و ألفاظ تنهش نهشاً ، يسرف في التجني على عباد الله بالسخرية و اللمز . . فهذا طويل و ذاك قصير و هذا أحمق و ذاك جهول ، و كأنه قد وكل إليه تجريح عباد الله .

أما سمع قول الله عز و جل : "سنكتب ما قالوا )

و قوله عز من قائل : " ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد. "

و يزداد الأمر و تعظم البلية حين ترى من عليه علامات الوقار ، و ملامح الاحتشام ، و سيما الوجاهة ، و هيئات العلماء ، يسفر عن بذاء و ثرثرة . . يصم الخوض في الباطل أذني جليسه . . لا يدع لأصحاب فضل فضلاً . . يحمل عليهم الحملات الشعواء أحياء و أمواتاً لزلة لسان أو سبق قلم . هلا حجزه عن عيوب الناس مال يعلم من عيوب نفسه ؟ طوبى لمن ملك لسانه ، و أنفق الفضل من ماله ، و أمسك الفضل من قوله .

*أيها المسلمون :*

إن فضلاء الرجال و عظماءهم . . إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ، فلا تبدر منهم لفظة نابية ولا عبارة ناشزة . و لا انتصار للنفس ، وإذا ضمه مجلس مع أمثال هؤلاء اللاغبين لا يفقد خلقه مع من لا خلاق له ، و لو أنه شغل بتأديب كل جهول لأعيته الحيل .

عباد الله : من أجل البعد عن اللغو ، وأخذ النفس بالأدب ، و الالتزام بالفاضل من القول و العمل ، ينبغي ملاحظة أمور منها : تجنب كثرة المزاح والإفراط فيه ، فهو يسقط الوقار ، و يورث الضغائن ، و يولد الأحقاد ، أما اليسير منه الباعث على الانبساط و انشراح النفس فلا بأس به . فقد كان عليه الصلاة و السلام يمزح و لا يقول إلا حقاً ، و ينبغي أخذ النفس بكظم الغيظ ، و العفو عن المسيء ، و الإعراض عن الجاهل . و كيف يكون الإنسان كريماً ذا خلق و هو لا يقيل عثرة ، و لا يدمح زلةً ، و لا يقبل معذرةً ؟ و لا بد من اجتناب الجدل ، و سد أبواب المراء ، و لو كان في حق ، فإن من كثر كلامه قل في الناس احترامه .

وجماع ذلك كله في حفظ اللسان ففيه الخير و فيه السلامة . و لا يذهب الرشد إلا مع كثرة الكلام والثرثرة . و إذا لم يملك الإنسان نفسه كان فمه مدخلاً لكل ما يعاب ، فتتلوث السيرة ، و يغلظ الحجاب على القلب .

إن اللسان حبل مرخي في يد الشيطان يصرف صاحبه كيف يشاء ، و إن المرء مخبوء تحت لسانه فإذا تكلم بان حاله . و لهذا يقول عبد الله بن مسعود ﷺ : و الله الذي لا إله إلا هو ليس شيء أحوج إلى طول سجن من لسان بل إن جوارح الإنسان كلها مرتبطة باللسان في الاستقامة و الاعوجاج .

روى الإمام الترمذي وغيره بإسناد حسن " عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال : إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان ــ أي تخضع له ــ فتقول : اتق الله فينا فإنما نحن بك ، فإن استقمت استقمنا و إن اعوججت اعوججنا "

فاتقوا الله أيها المسلمون وأعرضوا عن اللغو و الجاهلين ، و اتقوا آفات اللسان ، فمن كثر سقطه كثرت ذنوبه ، ومن كثرت ذنوبه فالنار أولى به كما قال عمر رضي الله عنه . و إن الرجل ليتكلم الكلمة ما يتبين فيها يزل فيها النار أبعد ما بين المشرق و المغرب كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ .

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١ ﴾

(الأحزاب ٧٠-٧١)

فالمداراة و الإعراض تعني : ضبط النفس أمام استفزازات الجهلاء ، وكفها عن الاستثارة لعوامل الغضب و الثأر . أما إحقاق الحق والرد على المبطلين : فهو دعوة ومجادلة بالتي هي أحسن ، و إظهار لعزة أهل الحق ، و تجنب لبلادة النفس و استكانتها . و هذا النوع مما يسوغ الخوض فيه ، بل قد يكون منه ما يحرم السكوت عليه . و هو باب واسع يشمل الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، و تعليم الجاهل ، وتنبيه الغافل ، و الدعوة إلى الله ، و ذكره ، و شكره و في كل ذلك قال تعالى: ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِي

كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾

(النساء ١١٤)

وقال تعالى: ﴿ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ﴾

(النساء ١٤٨-١٤٩)

و أمر آخر أيها المسلمون لا بد من التنبه إليه في هذا المقام . ذلك أنه ينبغي للمؤمنين إذا ضمهم مجلس ألا يخلو من ذكر الله فإن نبيكم محمداً ﷺ يقول : " ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار و كان لهم حسرة "

.أخرجه الإمام أحمد و أبو داود و النسائي من حديث أبي هريرة ﷺ .

و" لفظ الترمذي : ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم ﷺ إلا كان عليهم ترةً. "

و لهذه المجالس كفارة أرشد إليها النبي ﷺفي قوله : " من جلس مجلساً فكثر فيه لغطه فقـــال قـــبل أن يقـــوم من مجلسه : سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك و أتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك . "

# الذكر

## عند الأستاذ عمرو خالد

عـــبادة الذكر من أسهل العبادات.. لا تكلف جهدا ولا وقتا ولا مالا.. ويستطيع العبد المسلم أن يؤديها في أي وقت وفي كل مكان، بل يمكن للمرأة الحائض والنفساء ان تقـــوم بها.. وهي عبادة يحبها الله كثيرا ويثيب عليها ثوابا عظيما، ويعطي عليها من الأجر ما لا يعطي على غيرها.. وذكر الله عز وجل عبادة كل وقت وكل مكان كما أشـــرت.. حـــتى عندما يأتيني أحد يشكو لي كثرة المعاصي وعدم قدرته على الالتزام أجدني أقول بلا قصد: اذكر الله، وقد يستهين بالإجابة ويتركني ولكن المسكين لم يقدر معـــنى وقيمة الذكر الذي هو افضل عند الله من إنفاق الذهب وتافضة، ومن أن يلقى المسلم عدوه فيضرب عنقه، ويضرب عدوه عنقه!!

عبادة الذكر. شروطها الإكثار

ولكن هذه العبادة لها شرط واحد، هو الإكثار منها.. إذ لا ينفع معها القليل، في قيام اللـــيل قلنا: في قيام الليل تكفي ولو ركعتان.. أما عند الذكر فلا بد من الإكثار منه. يقول الله تعالى:{ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا* وسبّحوه بكرة وأصيلا} الأحزاب ٤١-٤٢. ولذا لاينفع أن تقول مرة واحدة مثلا: أسنغفر الله، ثم نقول: لقد ذكرت الله اليوم! والذكر عبادة ليس لها حد معين ولا منتهى لها.

والسؤال: لماذا اقترن الذكر في القرآن بكثرة؟! والجواب: لأن الذكر ضد النسيان، والمذكـــور هو الله تعالى رب الأرباب وواهب أقوى والقدر، لعظيم الجليل، ولا يليق

بالعظيم الجليل أن يذكر بعض الوقت وينسى معظم الوقت.. ولهذا فان من معاني تقوى الله تعالى: أن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يجحد، وان يطاع فلا يعصى!

وقـــد ورد عن أحد التابعين أنه كان يسبح الله كل يوم مائة ألف تسبيحة... يقول الله تعـــالى:{ يـــا أيهـــا الذين ءامنوا إذا لقيتم الذين فئة فاثبتوا واذكروا الله كثير لعلكم تفلحون} الأنفال ٤٥.

فـــلا فلاح الا بذكر الله تعالى، لن تستقيم في قيام الليل والصيام وغض البصر والحياء والحجـــاب وغـــير ذلك الا بذكر الله تعالى.. ويقول سبحانه:{ والذاكرين الله كثيرا والذاكـــرات} الأحـــزاب٣٥. ويقول:{ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا} الأحـــزاب٢١. ويقول تعالى:{ الذين يذكرون الله قـــياما وقعـــودا وعلى جنوبهم} آل عمران١٩١. وأكثر الناس فوزا وسعادة هو من يلازم الذكر ولو في عمل، وحتى لو كان في صفوف القتال..

وقد دعا سيدنا موسى عليه السلام ربه قائلا: قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾

(طه ٢٥-٠٣٤)

ولهذا فان الله تعالى عاب على المنافقين أنهم..{ ولا يذكرون الله الا قليلا} النساء١٤٢. أي أنهم يذكرون الله ولكن قليلا وفي أوقات محدودة، فإذا أخطأ مثلا أو عمل ذنبا قال: أستغفر الله، وإذا وقع منه شيء مثلا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله.. وليس هذا هو الذكر الكثير الذي يأمرنا به الله تعالى.

ولهـــذا فـــإن الطالب في طريقه الى مدرسته أو جامعته، والموظف في طريقه الى عمله والمحامي في طريقه الى محكمته.. كل مسلم ينبغي أن يقطع طريقه في ذكر الله، بدلا من أن يضيّعه في اللهو واطلاق النظر والسهو والغفلة ووساوس الشيطان.. وما المانع قبل أن تـــأوي الى فراشك كل ليلة أن تذكر الله ولو خمس او عشر دقائق؟! هل هذا شيء صعب؟!

## فضل الذكر:

وقـــال تعـــالى:{ فاذكروني أذكركم} البقرة ١٥٢، فلو قلت لا اله الا الله يذكرك الله بـــاسمك، ولهـــذا قال أحد الصحابة: أنا أعرف متى يذكرني ربي عز وجل، فسئل: متى ذلـــك؟ فقـــال: عندما أذكره سبحانه، قال تعالى:{ فاذكروني أذكركم} وهكذا فان الدخول على الله تعالى سهل يسير لا مشقة فيه ولا عناء.

ويقـــول تعالى:{ الذين ءامنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله، ألا بذكر الله تطمئن القلوب} الـــرعد٢٨، فمـــن فوائد ذكر الله تعالى اطمئنان المقلب وهدؤوه وسكينته.. وفي هذا علاج للذين يعانون قلقا ويتألمون، وإعراض عن الأطباء النفسيين. إن الناس تعاني القلق لقلـــة ذكـــرهم، ولانصرافهم عن الله جل وعلا.. ولهذا قال تعالى:{ ومن أعرض عن ذكـــري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى} طه ١٢٤. .. في ذكر الله علاج لكـــل المشاكل وتفريج لكل الكربات، وفي الغفلة عن الذكر قلق وهم وغم وتسليط للشيطان على الانسان. قال تعالى:{ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطانا فهو لـــه قرين} الزخـــرف٣٦. ويحذر الله تعالى عباده المؤمنين من أن تلهيهم الدنيا بما فيها عن ذكـــر الله فـــيقول سبحانه:{ يا أيها الذين ءامنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكـــر الله، ومـــن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون} المنافقون٩، فمن ألهاه أولاده أو أمواله عن ذكر الله فقد خسر خسرانا مبينا.

ومن الأشياء اللطيفة أن الله جعل ختام العبادات الكبيرة الذكر.. فكلما تؤدي عبادة عظـيمة تتبعها بذكر الله تعالى.. فالصلاة ذكر وبعدها أيضا ذكر وهو ختامها والدعاء وكذلك الصيام، فقد أمر الله في طيات الحديث عنه بالدعاء، والدعاء ذكر، وكذلك الحـج. قال تعالى فيه:{ فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشدّ ذكـرا} البقرة ٢٠٠. وقال تعالى عن الصلاة:{ فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعـودا وعلى جنوبكم} النساء١٠٣. وخص صلاة الجمعة بالذكر العظيم لشرفها وسمو مكانـتها وكـبير فضلها، فقال لعد الحديث عنها:{ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابـتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون} الجمعة ١٠. ويجعل الله عـز وجـل هـدف أعظم العبادات، وهي الصلاة الذكر. يقول تعالى في سياق أمره لكلـيمه موسـى عليه السلام :{ وأقم الصلاة لذكري} طه ١٤، فالصلاة كلها ذكر: القراءة ذكر، والركوع ذكر والسجود ذكر والتشهد ذكر..

والنبي ﷺ يبيّن أن الحياة الحقيقية هي حياة القلب، ولا حياة للقلب الا بذكر الله تعالى، ولهذا يقول ﷺ:" مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره كمثل الحي والميت" رواه البخاري ٦٤٠٧. فهل ترضى أن تكون في عداد الموتى بغفلتك عن ذكر الله تعالى؟!.

وأنـا أسـأل كل الذين يعانون في حياهم من مرض أو عقوق أولاد أو سوء معاملة جيران.. هل حرصتم على ذكر الله تعالى؟! هل نورتم قلوبكم وبيوتكم بذكر الله الخالق جل وعلا؟!

وقد جاء رجل إلى المعلم الأعظم ﷺ شاكيا يقول: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قـد كـثرت عليّ (فيها عبادات وأخلاق ومعاملات...) فدلني على عمل أتشبث به، فقال النبي ﷺ :" لا يزال لسانك رطبا بذكر الله" رواه الـترمذي ٣٣٧٥ وابن ماجه ٣٧٩٣ والامام أحمد ١٩٠\٤.

وجـــاء آخر الى الرسول ﷺ يقول: أي الاسلام أفضل؟! قال صلى الله عليه وسلم:" أن تموت واسانك رطب بذكر الله" رواه الطبراني في الكبير ١٠٧\٢٠ وابن حبان ٨١٨. أفضل شيء أن تلقى الله ذاكرا إيّاه..!

ويقـــول ﷺ:" ألا أدلكم بخير أعمالكم وأزاكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخـــير لكـــم مـــن إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعـــناقهم ويضربوا أعناقكم؟" فقال الصحابة: بلى يا رسول الله، فقال ﷺ:"ذكر الله تعالى". أرأيتم فضل الذكر؟!

ويقول ﷺ:" لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وتنزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده" رواه مســـلم ٦٧٩٥ والترمذي ٣٣٧٨ والامام أحمد ٩٢\٣.

ويقـــول الله عز وجل في حديث قدسي:" أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه اذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه". رواه البخاري ٦٤٠٥ ومسلم ٦٧٧٣ والامام أحمد ٢٥١\٢.

وخرج النبي ﷺ على أصحابه فوجدهم جالسين فقال:" ما أجلسكم؟" قالوا: جلسنا نذكر الله يا رسول الله، قال:" آلله ما أجلسكم الا هذا" قالوا: آلله ما اجلسنا الا هذا، فقال النبيﷺ :" إني لم أسألكم تهمة لكم، ولكن بلغني أن الله يباهي بكم ملائكته" رواه مســـلم ٦٧٩٧ ولترمذي ٣٣٧٩. فأبشروا أيها المسلمون الذاكرون لله تعالى، أبشروا بمباهاة الله ملائكته بكم!

وقال ﷺ:" سبق المفردون"، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال:" الذاكرون الله كـثيرا والذاكرات" رواه مسلم ٦٧٤٩ والترمذي ٣٥٩٩ والاماما أحمد ٣٢٣\٢. أتعلم أيها الأخ لماذا سماهم الرسول:" المفردون"؟ لأنهم تفرّدو أو تميّزوا.

والذكر في كل وقت وحين. تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يذكر الله في كل احواله.. فهل تستطيع أيها لمحب للرسول الراغب في مرافقته في الجنة أن تتأسى به وأن تذكر الله تعالى في كل أحوالك؟!

ومعلـوم أن الـنبي ﷺ كـان يقول بعد خروجه من الخلاء:" غفرانك" رواه أبو داود ٣٠ والـترمذي ٧ وابـن ماجه ٣٠٠ والامام أحمد ١٥٥\٦. أتردي لماذا؟ انه يستغفر الله على دقائق قليلة مرت عليه لم يذكر الله تعالى فيها!!

وأنـا أعـلم أن من المسلمين أناسا لم يجلسوا منذ أعوام كثيرة، بل ربما منذ أن خلقوا، جلسـة واحدة، ذكروا فيها الله مائة مرة أو سبّحوه مائة تبيحة.. ثم يشكو الناس بعد ذلـك من ضنك الحياة وعقوق الأولاد وضيق الصدور.. ويوم القيامة يندم المسلمون على الوقت الذي مر عليهم ولم يذكروا فيه ربهم جل وعلا. يقول سيدنا معاذ ﷺ: لا يـندم أهـل الجنة على شيء إلا على دقائق مرت بهم في الدنيا لم يذكروا الله فيها عز وجل.

وروي أن أبـا هريرة ﷺخرج إلى السوق ذات مرة فقال: يا معشر التجار، هلموا إلى المسـجد، فـان ميراث رسول الله يوزع هناك، فأسرع التجار إلى المسجد فلم يجدوا شيئا، فقالوا: دخلنا المسجد فما وجدنا شيئا!! فقال ﷺ: فماذا وجدتم؟! قالوا: وجدنا ناسا يذكرون الله تعالى، قال: فذلك ميراث رسول الله ﷺ!!

وروي في الأثر أن سيدنا سليمان ﷺ مر بموكبه وجنوده ورجاله ذات يوم على فلاح بسيط يحرث في أرضه، فقال ذلك الفلاح: لقد صار ملك آل داود عظيما! فنظر اليه سيدنا سليمان ﷺ وقال:" والله، لتسبيحة في صحيفة المؤمن خير مما أعطي سليمان وأهله، فإن ما أعطي سليمان يزول والتسبيحة تبقى"!!.

## أنواع الذكر:

للذكر أنواع ثلاثة: أولها: الثناء على الله عز وجل، ثم أذكار الصباح والمساء، ثم أذكر اليوم والليلة أو أذكار الأحوال كعند اللباس وعند الأكل وعند الشرب...

*أولا: ذكر الثناء على الله:*

الاستغفار: يقول تعالى حاكيا عن نوح ﷺ مخاطبا قومه: قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢ ﴾

(نوح ١٠-١٢).

.. ويقول ﷺ :" من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب". رواه أبو داود ١٥١٨ وابن ماجه ٣٨١٩.

وروي ان النبي ﷺ كان يستغفر في اليوم مائة مرة، وفي بعض الروايات أكثر من سبعين مرة.. والمائة استغفار لا تستغرق أكثر من دقيقتين على الأكثر.. وجاء في الأثر: طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا.

التسـبيح: ومعنى التسبيح التتريه.. أي تتريه الله تعالى عن كل نقص، ووصفه سبحانه بكـل كمال يليق به جل جلاله.. ولهذا فإنه عند التسبيح ينبغي أن يعمل المسبح فكره في خلق الله تعالى في السموات والأرض.. وللتسبيح ثواب عظيم وفضل كبير.
يقـول الـنبي ﷺ :" أيعجز أحدكم ان يكسب كل يوم ألف حسنة:{ قال الصحابة: كـيف ذلـك يا رسول الله؟! قال:" يسبّح مائة تسبيحة، فيكتب له بها ألف حسنة أو يكفر عنه بها ألف سيئة" رواه مسـلم ٦٧٩٢.. فهل يمكن أن يبخل مسلم بدقيقتين من وقته مقابل ألف حسنة؟!.

وإحدى صيغ التسبيح أن تقول:" سبحان الله وبحمده".. ولكن ما فائدتها؟! يقول ﷺ:" مـن قـال سبحان الله وبحمده مائة مرة غفرت ذنوبه وأن كانت مثل زبد البحر" رواه الـبخاري ٣٢٩٣ ومسلم ٦٧٨٣.. وزبد البحر هو الريم الأبيض الذي يكون على وجه الماء عند الموج.. تخيّل لو أنك واقف على شاطئ البحر وأبصرت هذا الزبد الكثير وتخيّلت أن ذنوبك كثيرة مثل هذا الزبد، فالعم أن الله سيغفرها لك بمنّه وفضله وجوده بقولك مائـة مرة فقط :" سبحان الله وبحمده".. فيدخل أحدنا الجنة في مقابل دقيقتين أو ثلاثة سبح الله فيها مائة مرة!!

ومن صيغ التسبيح أيضا:" سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم".
يقول النبي ﷺ :" كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سـبحان الله العظـيم وبحمـده، سبحان الله العظيم" رواه البخاري ٦٤٠٦ ومسلم ٦٧٨٦.. فلنحرص على أثقال موازين حسناتنا يوم القيامة بهذا الذكر العظيم..

وروي أنه يأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة فتطيش كفة حسناته وترجح عليها كفة سيئاته، فيلقي بنفسه على كفة الحسنات لتثقل ولكن لا يجدي معه شيئا ولا يزن

هــذا الــرجل عند الله جناح بعوضة.. ثم قرأ النبي ﷺ قوله تعالى:{ فلا نقيم لهم يوم القــيامة وزنا} الكهف ١٠٥.. وهاتان الكلمتان يحبهما ربنا جل وعلا، افتبخل بقول ذكر يحبه الله تعالى؟!

التهليل: " لا اله الا الله": أي لا معبود بحق إلا الله، ولهذا فلا ينبغي أن يكون في قلب العــبد أعــز ولا أحــب ولا أفضل من الله تعالى، لا هواه، ولا نفسه، ولا ولده، ولا زوجــه، ولا أهله، ولا أي شيء.. هذا هو النبي ﷺ يقول:" جددوا ايمانكم بــ "لا اله إلا الله"" رواه الإمــام أحمــد ٢٣٩\٥.. الذي يشتكي من قسوة قلبه وقلة دمعه وجمود عينه، علــيه أن يجــدد إيمانه بكلمة التوحيد: لا اله إلا الله.. إن الإيمان يبلى ويخلق كما يبلى الثوب ويخلق، ولا تجديد لهذا الإيمان إلا بذكر الله، وبالأخص بذكر كلمة التوحيد: لا اله إلا الله محمد رسول الله.

يقــول النبي العظيم ﷺ :" من قال لا اله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمــد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة ســيئة وكانت له حرزا من الشيطان يوم ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما أتى به إلا رجل قال مثل ما قال أو زاد" رواه البخاري ٣٢٩٣ ومسلم ٦٧٨٣.

الحوقلــة: "لا حول ولا قوة إلا بالله": يقول النبي ﷺ :" لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة" رواه الــبخاري ٤٢٠٥ ومسلم ٦٨٠٨. ومعاني الحوقلة: أي لا حيلة ولا قوة ولا شيء ينفع أو يضر في هذا الكون سوى الله تبارك وتعالى.

الاحتســاب: " حسبي الله ونعم الوكيل": أي أن الله كافيني وهو وحده نعم الوكيل، وخــير مــن يقــوم على أمري.. فلو ظلمك أحد عليك بهذا الدعاء، فقد قاله الخليل إبراهــيم حــين القي في النار، وقاله النبي ﷺ في غزوة (حمراء الأسد) حينما قال لهم

الـــناس ( أي للمسلمين) ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فقالوا:" حسبنا الله ونعم الوكيل".. فكفاهم الله شرّ عدوّهم، وحفظهم بفضله وجوده سبحانه وتعالى.

الصـــلاة على النبي ﷺ : يقول ﷺ :" من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا" رواه الـــترمذي ٤٨٤ ٤٨٥ والامـــام أحمد ١٦٨\٢. يعني من قال: اللهم صل على محمد.. أي ارحمـــه.. رحمـــه الله عز وجل عشر مرات.. لذا يجب على المسلم أن يكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ ، حتى تنزل عليه الرحمات.

*ثانيا: أذكار الصباح والمساء:*

وهـــي الأذكـــار الـــتي كان يحرص عليها النبي ﷺ في صباحه وفي مسائه.. وأذكار الصـــباح تقال من بعد صلاة الفجر حتى الشورق، ومن غلبه النوم ولم يستيقظ إلا بعد طلوع الشمس يقولها بعد أن يصلي الصبح لأن قيمتها عظيمة، وأذكار المساء تقال من بعـــد صلاة العصر حتى غروب الشمس، فمن بم يستطع فليقلها بعد صلاة المغرب.. وكـــل ذكر من الأذكار له فائدة عظيمة ويحافظ على شيء في حياة الانسان.. وقيل: مثل ذلك مثل رجل تأتيه شرور من أبواب متفرقة كثيرة، وكلما قال ذكرا أغلق أحد هذه الأبواب، فإذا قالها جميعا أغلق أبواب الشر جميعا!!

واليك بعض هذه الأذكار:

يقـــول النبي ﷺ :" من قال حين يصبح وحين يمسي: بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات لم يضرّه شيء في ذلك اليوم" رواه الهيثمي في موراد الظمآن ٢٣٥٢.

مـــن قـــال حين يصبح وحين يمسي:" أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يلدغه عقرب ولا ثعبان" رواه أبو داود ٣٨٩٩ وابن ماجه ٣٥١٨.

ومـــن خـــاف من الحسد يقرأ مع الأذكار الإخلاص والمعوذتين صباحا ومساء، فإن ذلك ينجيه من الحسد.

من قال: " رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا، وجب على الله أن يرضـــيه في يومه ذلك" رواه أبو داود ٢٤٢٥ وابن ماجه ٣٨٧٠ والامام أحمد ١٠٧\٣... ولهذا فإن الأخ المســـلم ينـــبغي عليه أن يحفظ هذه الأذكار وان يحرص عليها، لما فيها من خير كـــثير.. ونفع عميم وجزاء عظيم.. ونحن نحفظ في حياتنا أشياء كثيرة ولغات عجة لا نفع لها في الآخرة، فهل نبخل بوقتنا وجهدنا على ما له نفع في الدنيا والآخرة معا؟!

*ثالثا: أذكار اليوم والليلة أو أذكار المناسبات ومنها:*

عـــند تـــناول الطعام: " بسم الله.. اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيرا منه وقنا عذاب النارَ".

عـــند الفراغ من الطعام:" الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قـــوة" رواه ابـــو داود ٤٠٢٣ والامام أحمد ٤٣٩\٣. و " الحمد لله الذي أطعمني وآواني وكفاني، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي".

عـــند الاستيقاظ من النوم:" الحمد لله الذي ردّ اليّ روحي وعافاني في جسدي واذن لي بذكره، الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني واليه النشور" رواه الهندي ٢١٤١٨.

وهكذا بقية المناسبات كعند دخول الخلاء والخروج منه، وأذكار الخروج من البيت ودخولـه، ودخول المسجد والخروج منه.. وهذه الأذكار مبسوطة في كتب الأذكار ككتاب الأذكار للإمام النووي والوابل الصيب لابن القيّم.

وليت الأخ يعلق هذه الأذكار في أماكنها المناسبة حتى يحفظها بسهولة، لأن فيها خيرا كثيرا من حرمه فقد حرم.. واليكم بعض أذكار المناسبات الأخرى:

عـند الخـروج من البيت:" بسم الله، توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله.. اللهم إني أعوذ بك من أن أضل أو أضل أو أذل أو أذل، أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهـل عليّ.. فمن قال ذلك قيل له هديت ووفين وكفيت، وتنحى عنه الشيطان". رواه أبو داود ٥٠٩٤ والترمذي ٣٤٢٧ وابن ماجه ٣٧٧٤.

دعـاء مباشرة الزوجة:" اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا.. فمن قال ذلك، وقضى الله له ولزوجه بولد لك يضره الشيطان أبدا" رواه السـخاري ١٤١ ومسلم ٣٥١٩ وأبو داود ٢١٦١ والإمام أحمد ١\٢٤٣.!! سبحان الله.. ذكر واحد يقي الولد الشيطان.

وهـناك كتب طيب للشيخ الغزالي رحمه الله اسمه " فن الذكر والدعاء"، ويقول فيه: إن طريقة النبي ﷺ في الذكر لها فائدة ولها مدلول.. فمثلا دعاء النظر في المرآة:" اللهم كمـا حسنت خلقي حسن خُلقي" رواه ابن سعد في طبقات ١\٢. لماذا هذا الدعاء بالذات؟ حـتى لا يقول الداعي إذا نظر إلى المرآة ليس هناك أجمل مني!! بل عليه أن يلتفت إلى الخلق بجانب التفاته للخلقة، ثم يدعو الله أن يحسن أخلاقه وشمائله..

وإذا لبس أخوك ثوبا جديدا تدعو له قائلا:" البس جديدا وعش سعيدا ومت شهيدا" كأنـه يقـول له: البس جديدا واسعد ولكن لا يكن هذا غايتك وهدفك، بل اجعل هدفك الأسمى وغايتك العظمى أن تنال الشهادة في سبيل الله تعالى.

وفي السـفر: " اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى.." رواه الهـندي ١٧٦٢٣.. فحتى في سفر الدنيا والمنفعة يسأل الله الطاعة والتوفيق، ولا يمكن لمن سافر في معصية أن يتذكر هذا الدعاء، ثم يصر على معصية الله تعالى!!
ودعاء العودة من السفر: " آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون" لماذا؟! لأنك ستبدأ في بلدك صفحة جديدة بعد سفرك هذا، فابدأها بالتوبة النصوح والأوبة إلى الله تعالى.

*مسائل في الذكر والتسبيح:*

قد يسأل أحد الاخوة عن استخدام المسبحة في الأذكار؟ وقد ورد عن النبي صلى الله علـيه وسـم أنه دخل على أم المؤمنين السيدة أم يلمة رضي الله عنها فوجدها ممسكة بـبعض الأحجـار تسبح وتعد عليها.. فلم ينهها عن ذلك، إذ لا مانع من استخدام المسـبحة، لأن في استخدامها إعانة على الذكر وتذكيرا به. ولو تضمن أنك يمكن أن تستخدم يدك وتحافظ على الأعداد كما تريد فلا مانع..

*السؤال الثاني أيهما أفضل الذكر بالقلب أم باللسان أم بكليهما؟*

الأفضل بكليهما، وما أجمل أن تضع نفسك موضع النبي ﷺ وتتخيل كيف كان يؤدي هـذه الأذكار.. واعلم إن لكل مقام مقالا، فإذا كنت بين الناس ولا تستطيع أن تحرك لشـانك وفال، فلا بأس بذكر لقلب.. فأول المراتب القلب واللسان، ثم القلب، ثم اللسان وحده، وهذا أقل المراتب، وهو بلا شك أفضل من الغفلة بكثير، ومع الحفاظ عـلى ذكر اللسان وتكراره يحضر القلب إن شاء الله.. ولو لم يحضر، فهذا أفضل بلا شك، من الانشغال بالمعاصي واللهو والفراغ.

## فوائد الذكر:

**ابن القيم ذكر في كتابه الوابل الصيب فوائد الذكر وعدّ مائة فائدة نذكر منها بعضها في عجالة:**

**يقول تعالى:{ ولذكر الله أكبر}** العنكبوت ٤٥، **فالذكر يطرد الشيطان..**

**يزيل الهم والغم والكآبة والضيق عن الصدر ويجلب الفرح والسرور والاطمئنان والسكينة.**

***يقول تعالى:***

**{ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب}** الرعد٢٨.

**ينير الوجه والقلب ويكسو صاحبه مهابة وجلالا.**

**يقوي البدن.. وقد أخبر النبي ﷺ عليا وفاطمة رضي الله عنهما أن التسبيح ٣٣ مرة والتحميد ٣٣ مرة والتكبير ٣٤ أفضل من خادم.**

**الذكر هو غذاء القلب وقوته.. يقول ابن القيم: دخلت مرة على أستاذي ابن تيمية رحمه الله فقال لي: الذكر للقلب كالماء للمسك.. ويقول: دخلت عليه مرة بعد صلاة الفجر فوجدته يذكر الله فتركته وعدت بعد ساعة فوجدته يذكر الله.. فعلت ذلك عدة مرات، وظل يذكر الله حتى انتصف النهار، فنظرت إليه متعجبا فقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغدّ لسقطت قوتي.**

**الذكر أمان من النفاق؛ لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا.**

**الذكر يزيل قسوة القلب. جاء رجل إلى الحسن البصري رحمه اله فقال: أجد في قلبي قسوة، قال: أذبها بذكر الله..**

الذكر يشغل اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب وسائر آفات اللسان..

*الذكر يجلب الرزق.*

الذكــر يفــرج الكربة، خاصة إذا كان العبد يذكر ربه في السراء.. ولهذا فان سيدنا يونــس لمــا التقمه الحوت قال ربنا عز وجل:{ فلولا أنه كان من المسبحين* للبث في بطــنه إلى يــوم يبعثون} الصافات ١٤٣-١٤٤.. أي أنه كان يذكر ربه في السراء، حتى أن الملائكة قالت: يا رب صوت معروف من عبد معروف.

مــن ذكــر الله ذكره. قال تعالى:{ فاذكروني أذكركم} البقرة ١٥٢. ولو لم يكن في فوائد الذكر سوى هذه لكفت.

الذكــر مــع البكاء سبب للاحتماء بظل الله يوم لا ظل إلا ظله. قال ﷺ في السبعة:" ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه" رواه البخاري ٦٦٠ ومسلم ٢٣٧٧ والترمذي ٢٣٩١ والامام أحمد ٤٣٩\٢.

من فوائد الذكر التعرف على الله تعالى وحبه، لأن من ذكر الله أحبه الله تعالى.

الذكر باب الإحسان.. وأن يعبد لمرء ربه كأنه يراه..

الذكر علاج لقسوة القلب. ولذلك قال الشاعر:

إذا مرضنا تداوينا بذكركم  فنترك الذكر أحيانا فتقسو

ذكر الله يلهم العبد الشهادة عند الموت.. لان الشهادة عند الموت شيء ليس سهلا.. فالكــلمات تهــرب من على اللسان، لذا يقول تعالى:{ يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة} ابراهيم ٢٧ قيل: أي عند الموت وعند الحساب.

ومعلوم أن من يشغل بشيء في حياته يموت عليه.. ومثال ذلك أن الذي يفتن بالدنيا وينشــغل بهــا قد يهذي بها في موته.. وقد كان أحد التجار مشغولا جدا بتجارته ولما مات بدأ الناس يلقونه الشهادة: فيقول: أعطني الحقيبة، فيقولون لا اله إلا الله، فيقول: يــا أخي قلت لك هات الحقيبة.. ولما أفاق قال: كنت أجدها _يعني الشهادة _ ثقيلة على لساني!!

فهل يتمنى أحد منكم أن يوضع في هذا الموضع الصعب.



## قل دائماً يا سامعا لكل شكوى

يا خالق الأكوان أنت المرتجى..... وإليك وحدك ترتقي صلواتي

يا خالقي ماذا أقول وأنت تعلمـــــني وتعلم حاجتي وشكاتـــي

يا خالقي ماذا أقول وأنت.......... مطلع على شكواي والأناتي

الـــلهم يـــا موضع كل شكوى، ويا سمع كل نجوى، ويا شاهد كل بلوى، يا عالم كل خفـــية، و يـــا كاشف كل بلية، يا من يملك حوائج السائلين، ويعلم ضمائر الصامتين ندعـــوك دعاء من أشدت فاقته، وضعفت قوته، وقلت حيلته دعاء الغرباء المضطرين الذين لا يجدون لكشف ما هم فيه إلا أنت.

يا أرحم الراحمين أكشف ما بنا وبالمسلمين من ضعف وفتور وذل وهوان.

يـــا ســـامعا لكل شكوى أعن المساكين والمستضعفين وأرحم النساء الثكالى والأطفال اليتامى وذي الشيبة الكبير، إنك على كل شيء قدير.

معاشر الأخوة والأخوات:

إن في تقلـــب الدهـــر عجائب، وفي تغير الأحوال مواعظ، توالت العقبات، وتكاثرت النكبات، وطغت الماديات على كثير من الخلق فتنكروا لربهم ووهنت صلتهم به.

اعـــتمدوا على الأسباب المادية البحتة، فسادة موجات القلق والاضطراب، والضعف والهوان، وعم الهلع والخوف من المستقبل، خافوا على المستقبل، تخلوا عن ربهم فتخلى الله عنهم:

( يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ).

جمـــيعُ الخلـــق مفتقرون إلى الله، مفتقرون إلى الله في كل شؤونِهم وأحوالِهم، وفي كلِ كبيرةٍ وصغيره، وفي هذا العصرُ تعلقَ الناسُ بالناسِ، وشكا الناسُ إلى الناس، ولا بئسَ

أن يُستعانُ بالناس في ما يقدرون عليه، لكن أن يكونَ المُعتمَدُ عليهم، والسؤال إليهم، والتعلقُ بهم فهذا هو الهلاكُ بعينه، فإن من تعلق بشيٍ وكلَ إليه.

نعـــتمدُ عـــلى أنفسِـــنا وذكائِنا بكل غرورٍ وعجبٍ وصلف، أما أن نسأل الله العونَ والتوفـــيق، ونـــلحَ عليه بالدعاء، ونحرِصِ على دوام الصلة باللهِ في كلِ الأشياء، وفي الشدةِ والرخاء، فهذا أخرُ ما يفكرُ به بعض الناس.

فقيراً جئتُ بابك يا إلهي.........ولستُ إلى عبادك بالفقيرِ

غنياً عنهمُ بيقينِ قلبي.........وأطمعُ منك في لفضلِ الكبيرِ

الهي ما سألتُ سواك عونا.....فحسبي العونُ من ربٍ قديرِ

الهي ما سألتُ سواك عفوا.....فحسبي العفوُ من ربٍ غفورِ

الهي ما سألتُ سواك هديا.....فحسبي الهديُ من ربٍ بصيرِ

إذا لم أستعن بك يا الهي.........فمن عوني سواك ومن مجيرِ

إن الفرار إلى الله، واللجوء إليه في كلِ حالٍ وفي كل كربٍ وهم، هو السبيلُ للتخلصَ من ضعفنا وفتورنا وذلنا و هواننا.

إن في هـــذه الدنـــيا مصائبَ ورزايا، ومحناً وبلايا، آلامُ تضيقُ بها النفوس، ومزعجاتُ تورث الخوفَ والجزع، كم في الدنيا من عينٍ باكية ؟

وكم فيها من قلب حزين؟

وكم فيها من الضعفاءِ والمعدومين، قلوبُهم تشتعل، ودموعُهم تسيل ؟

هذا يشكُ علةً وسقما.

وذاك حاجةً وفقرا.

وآخر هماً وقلقا.

عزيزٌ قد ذل، وغنيٌ افتقر، وصحيحٌ مرض، رجل يتبرم من زوجه وولده، وآخرُ يشكُ ويئنُ من ظلمِ سيده.

وثالــثٌ كسدة وبارت تجارته، شاب أو فتاة يبحث عن عروس، وطالب يشكو كثرة الامتحانات والدروس.

هــذا مســحور وذاك مديــن ،وأخر ابتليَ بالإدمان والتدخين، ورابعُ أصابه الخوفُ ووسوسةُ الشياطين.

تلك هي الدنيا، تضحكُ وتبكي، وتجمعُ وتشتت، شدةُ ورخاء وسراءٌ وضراءُ.

وصدق الله العظيم:

(لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ).

أيها الأخوة،

*السؤال الذي يجب أن يكون، هؤلاء إلى من يشكون، و أيديَهم إلى من يمدون؟*

يجيــبك واقعُ الحال على بشرٍ مثلُهم يترددون، وللعبيدِ يتملقون، يسألون ويلحون وفي المديح والثناء يتقلبون، وربما على السحرة والكهنة يتهافتون.

نعــم والله تألمنا شكاوي المستضعفين، وزفراتُ المساكين، وصرخاتُ المنكوبين، وتدمعُ أعْيُنَــنا – يعــلم الله– لأهات المتوجعين، وأناتُ المظلومين، وانكسارِ الملذوعين، لكن أليس إلى اللهِ وحدَه المشتكي ؟

*أين الإيمان بالله ؟ أين التوكلُ على الله ؟ أين الثقةُ و اليقينُ بالله ؟*

وإذا عرتك بليةٌ فأصبر لها.......صبرُ الكريمِ فإنه بك أرحمُ

وإذا شكوتَ إلى ابنِ أدم إنما.....تشكو الرحيمَ إلى الذي لا يرحمُ

ألم نسمع عن أناس كانوا يشكون إلى الله حتى انقطاع سير نعلهم، نعم حتى سير النعل كانوا يسألونه الله، بل كانوا يسألون الله حتى الملح.

يا أصحابَ الحاجات.

أيها المرضى.

أيها المدينون.

أيها المكروب والمظلوم.

أيها المُعسرُ والمهموم.

أيها الفقيرُ والمحروم.

يا من يبحث عن السعادة الزوجية.

يا من يشكو العقم ويبحث عن الذرية.

يا من يريد التوفيق بالدراسة والوظيفة.

يا من يهتم لأمر المسلمين.

يا كلُ محتاج، يا من ضاقت عليه الأرضُ بما رحبت.

لماذا لا نشكوُ إلى اللهِ أمرنا وهو القائل:

(ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ).

لماذا لا نرفعُ أكفَ الضراعة إلى الله وهو القائل:

( فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ).

لماذا ضُعفُ الصلة بالله، وقلةُ الاعتماد على الله، وهو القائل:

( قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ ). لولا دعاؤكم.

أيهـــا المؤمنون، أيها المسلمون يا أصحابَ الحاجات، ألم نقرأ في القرآن قول الحق عز وجل: ( فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ) لماذا ؟ ( لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ).

فأين نحن من الشكوى لله، أين نحن من الإلحاح والتضرعِ الله؟

سبحان الله، ألسنا بحاجة إلى ربنا؟

أنعتمدُ على قوتنا وحولِنا، والله ثم واللهِ لا حول لنا ولا قوةَ إلا بالله.

واللهِ لا شـــفاء إلا بيد الله، ولا كاشفَ للبلوى إلا الله، لا توفيق ولا فلاح ولا سعادةَ ولا نجاح إلا من الله.

العجيبُ والغريب أيها الأخوةُ أن كلَ مسلمٍ يعلمُ ذلك، ويعترفُ بهذا بلِ ويقسمُ على هذا، فلماذا إذاً تتعلقُ القلوبُ بالضعفاءُ العاجزين ؟

ولماذا نشكو إلى الناسِ ونلجأَ للمخلوقين ؟

سل الله ربك ما عنده........ ولا تسأل الناس ما عندهم

ولا تبتغي من سواه الغنى..... وكن عبده لا تكن عبدهم

فمن يا إذا بُليت سلاك أحبابك، وهجرك أصحابك.

يا من نزلت بها نازلة، أو حلت به كارثة.

يـــا من بليت بمصيبةٍ أو بلاءٍ، ارفع يديك إلى السماء وأكثر الدمعَ والبكاء، وألحَ على اللهِ بالدعاء وقل:

يا سامعاً لكلِ شكوى.

إذا استعنت فأستعن بالله، وإذا سألت فأسأل الله، وقل يا سامعاً لكل شكوى.

توكـــل عـــلى الله وحده، وأعلن بصدقٍ أنك عبده واسجد لله بخشوع، وردد بصوتٍ مسموع:

يا سامعاً لكلِ شكوى.

أنت الملاذُ إذا ما أزمةٌ شملت.......وأنت ملجأُ من ضاقت بهِ الحيلُ

أنتَ المنادى به في كلِ حادثةٍ.......أنت الإلهُ وأنت الذخرُ والأملُ

أنت الرجاءُ لمن سُدت مذاهبهُ.....أنت الدليلُ لمن ضلت بهِ النسبلُ

إنا قصدناك والآمال واقعةٌ.........عليكَ ، الكلُ ملهوفُ ومبتهلُ

إن الأنبياء والرسلَ، وهم خيرُ الخلق، وأحبُ الناسَ إلى الله، نزل بهم البلاء واشتدَ بهم الكرب، فماذا فعلوا وإلى من لجئوا.

أخـــي الحبيـــب، أختصـــرُ لك الإجابة، إنه التضرعُ والدعاء، والافتقارُ لربِ الأرضِ والسماء، إنها الشكايةُ لله وحُسنُ الصلة بالله.

هذا نوحٌ عليه السلام يشكو أمرَه إلى الله ويلجأُ لمولاه:

قال تعالى:

(وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ).

كانت المناداة، كانتِ المناجاة، فكانتِ الإجابةُ من الرحمن الرحيم.

وقال تعالى:

( وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ).

وقال عز من قائل:

(فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ).

هـــذا أيوبُ عليه السلام ، ابتلاهُ اللهُ بالمرضِ ثمانيةَ عشر عاماً حتى أن الناسُ ملوا زيارته لطولِ المـــدة، فـــلم يبقى معه إلا رجلان من إخوانه يزورانه، لكنه لم ييئس عليه السلام ، بل صبرَ واحتسب، وأثنى الله عليه: ( إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ)، أواب أي رجاعٌ منيـــبٌ إلى ربـــه، ظل على صلته بربه وثقته به، ورضاهُ بما قُسم الله له، توجه إلى ربه بالشكوى ليرفع عنه الضراء والبلوى قال تعالى:(وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ). فماذا كانتَ النتيجة ؟

قـــال الحقُ عز وجل ، العليمُ البصيرُ بعباده، الرحمنُ الرحيم قال: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ).

هذا يونسُ عليه السلام، رفع الشكاية لله فلم ينادي ولم يناجي إلا الله قال تعالى:

( وَذَا الـــنُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ). فماذا كانتَ النتيجة ؟

(فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ).

وزكريا عليه السلام قال الحق عز وجل عنه: (وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ). ماذا كانت النتيجة ؟

(فَاسْــتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ). الذين يشكون العقم وقلة الولد.

إذا لماذا استجاب الله دعاه؟

لأنهــم كــانوا يسارعون في الخيرات، وكانوا لا يملون الدعاء، بل كان القلب متصل متعلق بالله، لذلك قال الله عنهم: (وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ).

خاشعين متذللين، معترفين بالتقصير، فالشكاية تخرج من القلب قبل اللسان.

يعقــوبُ عليه السلام قال: (قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ)، انظروا لليقين، انظروا للمعرفة برب العالمين: (وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ)، فاستجاب اللهُ دعائَه وشكواه وردَ عليه يوسفَ وأخاه.

وهذا يوسف عليه السلام ابتلاه الله بكيد النساء، فلجأ إلى الله، وشكى إليه ودعاه فقال: ( وَإِلَّــا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ)، إنه التضرع والدعاء، والافتقار لرب الأرض والسماء، إنها الشكاية لله، وحسن الصلة بالله.

(فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).

وأخبر الله عن نبينا محمد ﷺ وأصحابه فقال تعالى: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّــي مُمِدُّكُــمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ). استغاثة لجاءة إلى الله، شكوى وصلة بالله سبحانه وتعالى.

وهكذا أيها الأحبة حينما نستعرضُ حياةَ الرسلِ جميعاً، كما قصها علينا القرآن الكريم، نــرى أن الابتلاء والامتحان كان مادتُها ومائُها، وأن الصبرَ وحسنُ الصلة بالله ودوام الالتجاءِ وكثرةُ الدعاءِ وحلاوة الشكوى كان قوَمُها.

ومــا أشــرنا إليه إنما هي نماذج من الاستجابة للدعاء، ومن في كتب السير والتفاسير وقــف عــلى شدةِ البلاء الذي أصاب الأنبياء، وعلم أن الاستجابةَ جاءت بعد إلحاحٍ ودعاء، واستغاثة ونداء.

إنهــا آياتٌ بينات وبراهينُ واضحات، تقول بل وتعلن أن من توكلَ واعتمد على الله، وأحســن الصلة بمولاه استجاب الله دعاه، وحفظه ورعاه، فإن لم يكن ذلك في الدنيا كان في الآخرة: ( وَمَا عِنْدَ اللَّه خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلا تَعْقِلُونَ).

أنها صفحاتٌ من الابتلاء والصبر معروضةٌ للبشرية، لتسجل أن لا اعتماد إلا على الله، وان لا فارجَ للهمِ ولا كاشفَ للبلوى إلا الله.

هذا هو طريق الاستعلاء أن تنظرَ إلى السماء، وأن نلحَ بالدعاء، لأن الشكوى إلى الله تشعرك بالقوةِ والسعادة، وأنك تأوي إلى ركنٍ شديد.

أمــا الشــكوى إلى الــناس، والنظرِ إلى ما في أيدي الناس فيشعرك بالضعف والذل والإهانةِ والتبعية.

يا أهل التوحيد، أليس هذا أصل من أصول التوحيد ؟

إن مــن أصــول التوحيد أن تتعلق القلوبُ بخالقها في وقت الشدةِ والرخاء والخوفَ والأمن، والمرضِ والصحة، وفي كل حالٍ وزمان.

ومــا نراه اليومَ من تعلقِ القلوب بالمخلوقين، وبالأسباب وحدها دون اللجوءْ إلى الله، لهو نذيرُ خطرٍ يزعزعُ عقيدةَ التوحيدِ في النفوس.

أيهــا الأحــبة: إن الشــكوى لله، والتضرعَ إلى الله، وإظهارَ الحاجة إليه، ولاعتراف بالافــتقار إليه من أعظمِ عرى الإيمانِ وثوابتِ التوحيد، وبرهانُ ذلك الدعاء والإلحاح بالسؤال، والثقةُ واليقينُ بالله في كلِ حال.

ولقد زخرت كتبُ السنةِ بأنواعٍ من الدعاءِ تجعلُ المسلمَ على صلةٍ بربه، وفي حرزٍ من عدوه، يقضي أمره ويكفي همه.

في كـــلِ مناســـبةٍ دعـــا، في اليقظةِ والمنام، والحركة والسكون، قياماً وقعودا، وعلى الجـــنوب، ابتهالٌ وتضرعٌ في كل ما أهم العبد، وهل إلى غيرِ الله مفر، أم هل إلى غيره ملاذ.

ففـــي المـــرض مثلا الأحاديث كثيرة، والأدعية مستفيضة، إليك على سبيل المثال ما أحرجه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها:

أن رسولَ الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه المعوذات، وينفث، فلما أشتد وجعه كنت اقرأ عليه وأمسح عليه رجاء بركتها.

وأخرج البخاري ومسلم أيضا من حديث عائشة قالت:

كـــان رســـول الله ﷺ إذا اشتكى منا إنسان مسحه بيمينه ثم قال: أذهب البأس رب الـــناس، وأشـــفي أنت الشافي لا شفاء إلا شفائك، شفاء لا يغادر سقما، أي لا يترك سقما.

وفي صحيح مسلم عن عثمان ابن أبي العاص ﷺ :

أنه شكى إلى رسول الله ﷺ وجعا يجده في جسده منذ أسلم، فقال ﷺ : ضع يدك على الذي تألم من جسدك.

انظـــروا لرســـول الله ﷺ ، قدوتنا وحبيبنا يربي الناس، ويربي أصحابه على الاعتماد والـــلجوء إلى الله، ضع يدك، الإرشاد أولا لله، التعلق أولا بالله، لم يرشده أولا لطبيب أولا

وفي رواية أمسحه بيمينك سبع مرات، وفي رواية قال عثمان فقلت ذلك فأذهب الله ما كان بي، فلم أزل آمر بها أهلي وغيرهم.

سبحان الله، اسمعوا لحسن الصلة بالله، والتوكل على الله، فلم أزل آمر بها أهلي وغيرهم.

أيها المريض، أعلم أن من أعظم أسباب الشفاء التداوي بالرقى الشرعية من القرآن والأدعية النبوية، ولها أثر عجيب في شفاء المريض وزوال علته، لكنها تريد قلبا صادقا وذلا وخضوعا لله.

رددها أنت بلسانك، فرقيتك لنفسك أفضل وأنجح، فأنت المريض وأنت صاحب الحاجة، وأنت المضطر، وليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة، وما حك جلدك مثل ظفرك، فتوكل على الله بصدق وألح عليه بدون ملل، وأظهر ضعفك وعجزك، وحالك وفقرك إليه، وستجد النتيجة العجيبة إن شاء الله ثقة بالله.

فإلى كل مريض مهما كان مرضه أقول:

شفاك الله وعافاك، اعلم أن الأمراض من جملة ما يبتلي الله به عباده، والله عز وجل لا يقضي شيئا إلا وفيه الخير والرحمة لعباده، وربما كان مرضك لحكمة خفيت عليك، أو خفيت على عقلك البشري الضعيف، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم.

أيها الحبيب شفاك الله، هل علمت أن للأمراض والأسقام فوائد وحكم أشار أبن القيم إلى أنه أحصاها فزادت على مائة فائدة (انظر كتاب شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل صفحة ٥٢٥).

أيها المسلم أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك وأن يعافيك، هل سمعت قول رسول الله ﷺ : ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه، إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها.

وهل سمعت أنها ﷺ : زار أم العلاء وهي مريضة فقال الله ابشري يا أم العلاء فإن مرض المسلم يذهب الله به خطاياه كما تذهب النار خبث الذهب والفضة.

قـــال أبن عبد البر رحمه الله: الذنوب تكفرها المصائب والآلام، والأمراض والأسقام، وهذا أمر مجتمع عليه.

والأحاديـــث والآثار في هذا مشهورة ليس هذا مقام بسطها، لكن المراد هنا أننا نرى حـــال بعض الناس إذا مرض فهو يفعل كل الأسباب المادية من ذهاب للأطباء وأخذ للدواء وبذل للأموال وسفر للقريب والبعيد، ولا شك أن هذا مشروع محمود، ولكن الأمـــر الغريـــب أن يطـــرق كل الأبواب وينسى باب مسبب الأسباب، بل ربما لجأ للسحرة والمشعوذين، نعوذ بالله من حال الشرك والمشركين.

ألم يقرأ هذا وأمثاله في القرآن:( وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ).

أيها المريض أعلم أن الشافي هو الله، ولا شفاء إلا شفائه.

أيهـــا المريض، بل يا كل مصاب أيا كانت مصيبته، هل سألت نفسك لماذا ابتلاك الله بهـــذا المـــرض، أو بهذه المصيبة ؟ ربما لخير كثير ولحكم لا تعلمها ولكن الله يعلمها،ألم يخطـــر ببالك أنه أصابك بهذا البلاء ليسمع صوتك وأنت تدعوه، ويرى فقرك وأنت ترجوه، فمن فوائد المصائب استخراج مكنون عبودية الدعاء.

قال أحدهم: سبحان من استخرج الدعاء بالبلاء.

وفي الأثر أن الله ابتلى عبدا صالحا من عباده وقال لملائكته لأسمع صوته.

يعني بالدعاء والإلحاح.

أيهـــا المـــريض، المرض يريك فقرك وحاجتك إلى الله، وأنه لا غنى لك عنه طرفة عين، فيتعلق قلبك بالله، وتقبل عليه بعد أن كنت غافلا عنه، وصدق من قال:

فربما صحت الأجسام بالعلل.

فأرفع يديك وأسل دمع عينيك، وأظهر فقرك وعجزك، واعترف بذلك وضعفك.

في روايـــة عن سعيد ابن عنبسة قال: بينما رجل جالس وهو يعبث بالحصى ويحذف به إذ رجعـــت حصـــاة مـــنه عليه فصارت في أذنه، فجهدوا بكل حيلة فلم يقدروا على

إخـــراجها، فبقيـــت الحصاة في أذنه مدة وهي تألمه، فبينما هو ذات يوم جالس إذ سمع قارئ يقرأ: (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ).

فقـــال الرجل: يا رب أنت المجيب وأنا المضطر فأكشف عني ما أنا فيه، فترلت الحصاة من أذنه في الحال.

لا تعجب، إن ربي لسميع الدعاء، إذا أراد شيئا قال له كن فيكون.

أيهـــا المريض، إياك وسوء الظن بالله إن طال بك المرض، فتعتقد أن الله أراد بك سوء، أو أنه لا يريد معافاتك، أو أنه ظالم لك، فإنك إن ظننت ذلك فإنك على خطر عظيم.

أخرج الإمام أحمد بسند صحيح من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: إن الله تعالى يقول أنا عند ظني عبدي بي، إن ظن خيرا فله، وإن ظن شرا فله.

يعني ما كان في ظنه فإني فاعله به، فأحسن الظن بالله تجد خيرا إن شاء الله.

لا تجزعن إذا نالتك موجعة.............. واضرع إلى الله يسرع نحوك الفرج

ثم استعن بجميل الصبر محتسبا............ فصبح يسرك بعد العسر ينسلج

فسوف يدلج عنك الهم مرتحلا.............. وإن أقام قليلا سوف يدّلج

هـــذا في المـــرض، وأطلت فيه لكثرة المرضى، وحاجة الناس إلى مثل هذه التوجيهات، وهـــي تحتاج إلى دروس ومحاضرات، ولكن حسبي ما ذكرته الآن لأن الموضوع عام في المصائب والآلام.

ومن المصائب والآلام التي يحتاج الناس فيها إلى الشكوى إلى الله تراكم الديون وكثرة المعسرين.

كـــم من مدين عجز عن الوفاء، وكم من معسر يعيش في شقاء، هم في الليل وذل في الـــنهار، أحـــزان وآلام لا يغمـــض في منام، ولا يهنأ في طعام، طريد للغرماء، أو مع

السجناء، صبية صغار، وبيت للإيجار، وزوجة مسكينة لا تدري أتطرق أبواب المحسنين أو تسلك طرق الفاسقين.

هذه رسالة مؤلمة من زوجة إلى زوجها في السجن بسبب الديون جاء فيها:

**لم أتمـتع معـك في حياتنا الزوجية إلا فترة من الزمن حتى غيبوك في غياهب السـجون، كم سنة غبت عني لا أدري ماذا فعل الله بك، ولا أدري عنك أحي فترجى أم ميت فتنعى، ليتك ترى حالي وحال أولادك، ليتك ترى حال صـغارك، لسـت أدري هل أخون أمانة الله وأمانتك وأطلب الرزق لهؤلاء بطـرق محرمة وأنا في ذمتك وعهدك، أم أطلب الطلاق ويضيع أولادك.. إلى**
أخر الرسالة من كتاب إلى الدائنين والمدينين.

وأقـول أيها الأحبة، تصوروا حال هذا الزوج كيف يكون وهو يقرأ هذه الكلمات، ديون وسجون وهموم وأولاد، ذل وخضوع للناس.

وأسمعـوا لهـذا الرجل وهو يشكو حاله ويقول: أنا رجل سجين علي مبلغ من المال، وصـار لي في السـجن أكـثر من سنة ونصف، ولا يقبل خصمي كفيلا، وأنا معسر وصاحب عائلة فهل يجوز سجني؟

إلى هؤلاء وأمثالهم أقول: لماذا طرقتم الأبواب كلها ونسيتم باب من يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا خائبتين. وسنده جيد.

قال السري السبطي: كن مثل الصبي إذا اشتهى على أبويه شهوة فلم يمكناه قعد يبكي عليهما، فكن أنت مثله إذا سألت ربك ولم يعطك، فأقعد وأبكي عليه.

ولرب نازلة يضيق بها الفتى............. ذرعا وعند الله منها مخرج

كملت فلما استحكمت حلقاتها......... فرجت وكان يظنها لا تفرج

ومن الأدعية في قضاء الدين ما أخرجه أبو داوود في سننه من حديث أبي سعيد الخدري قال: دخل النبي ﷺ المسجد ذات يوم فرأى فيه رجلا من الأنصار يقال له أبو أمامه، فقال له النبي ﷺ إن أراك جالسا في المسجد في غير وقت صلاة، قال هموم لزمتني، وديون يا رسول الله. قال ﷺ أفلا أعلمك كلاما إذ قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك، قلت بلى يا رسول الله، قال قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال.

قال ففعلت ذلك فأذهب الله تعالى همي وغمي وقضى عني ديني.

يعلق القلوب بالله صلوات الله وسلامه عليه.

وروى البيهقي في فضائل الأعمال عن حماد ابن سلمة أن عاصما ابن أبي إسحاق شيخ القراء في زمانه قال: أصابتني خصاصة –أ ي حاجة وفاقة – فجئت إلى بعض إخواني فأخبرته بأمري فرأيت في وجهه الكراهة، فخرجت من مترله إلى الصحراء ثم وضعت وجهي على الأرض وقلت يا مسبب الأسباب، يا مفتح الأبواب، يا سمع الأصوات، يا مجيب الدعوات، يا قاضي الحاجات اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضل عن من سواك. يلح على الله بهذا الدعاء.

قال فوالله ما رفعت رأسي حتى سمعت وقعت بقربي، فرفعت رأسي فإذا بحدأة طرحت كيسا أحمر فأخذت الكيس فإذا فيه ثمانون دينارا وجوهرا ملفوفا بقطنة، فبعت الجواهر بمال عظيم، وأبقيت الدنانير فاشتريت منها عقارا وحمدت الله تعالى على ذلك.

لا نعجب أيها الأخوة، إن ربي لسميع الدعاء، ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

ومن الأدعية عند الهم والقلق ما أخرجه أحمد في المسند من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال اللهم

رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال اللهم



٤٧

إني عبدك، ابن عبدك ابن أمتك نصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضائك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزن وأبدله مكانه فرجا، وفي رواية فرحا، قال فقيل يا رسول الله ألا نتعلمها، قال بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها.

أيها الأخوة، إن الإنسان منا ضعيف، ضعيف فكيف إذا اجتمعت عليه الهموم والأحزان، وشواغل الدنيا ومشاكلها فزادته ضعفا، وجعلته فريسة للهم والقلق والتمزق النفسي.

انظروا للعيادات النفسية، وكثرت المراجعين لها، شباب وفتيات في أعمار الزهور، أين هؤلاء من الاعتصام بالله، والاتصال والشكوى للذي قدّر الهموم والغموم وقضى بالمصائب والأحزان.

يتصل به متذللا معترفا بذنبه طارقا بابه مستعينا به مستيقنا بأنه هو القادر على كشفها دون سواه، وما سواه إلا أسباب هو الذي يقدرها ويهيئها للعبد.

إن الله تعالى يقول: ( وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً).

قال أبن القيم في طريق الهجرتين: فإن الإنسان ضعيف البنية، ضعيف القوة، ضعيف الإرادة ضعيف الصبر والآفات إليه مع هذا الضعف أسرع من السيل في صيب الحدور، فبالاضطرار لابد له من حافظ معين يقويه ويعينه وينصره ويساعده، فإن تخلى عنه هذا المعين فالهلاك أقرب إليه من نفسه.

إذا فلنتعلم هذا الحديث كما أوصى ﷺ فإن فيه خضوعا وخشوعا لله، فيه اعترافا بالعبودية والذل لله، فيه توسل واستغاثة بجميع أسماء الله ما يُغرف منها وما لا يعرف، ما كتب وما أخفى.

وأبشر أخي الحبيب فإن النبي ﷺ يقول: ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه.

يا صاحب الهم إن الهم منفرج........... أبشر بخير فإن الفارج الله

إذا بليت فثق بالله وأرضى به.......... إن الذي يكشف البلوى هو الله

ومـــن الأدعـــية عند النوازل والفتن والخوف ما أخرجه أبو داوود والنسائي عن أبي موسى أن النبي ﷺ كان إذا خاف قوما قال: اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم.

وكـــان يقول ﷺ عند لقاء العدو: اللهم أنت عضدي وأنت ناصري، بك أصول وبك أجول وبك أقاتل.

وفي صـــحيح الـــبخاري مـــن حديث ابن عباس قال: (حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها إبراهـــيم حين القي في النار، وقالها نبينا محمد ﷺ حين قال له الناس إن الناس قد جمعوا لكم.

فإذا كان المحيي والمميت والرزاق هو الله، فلماذا التعلق بغير الله؟

لماذا الخوف من الناس و ﷺ يقول: واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك.

أيهـــا المسلم، لا يمكن للقلب أبدا أن يسكن أو يرتاح أو يطمأن لغير الله، فاحفظ الله يحفظك وردد : ( فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ).

رأى موســـى علـــيه الســـلام البحر أمامه والعدو خلفه فقال: (قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ)، إنها العناية الربانية إذا ركن إليها العبد صادقا مخلصا.

نبينا محمد ﷺ في الغار ويرى أقدام أعدائه على باب الغار، ويلتفت إلى صاحبه يقول: ( لا تَحْـــزَنْ إِنَّ اللَّـــهَ مَعَنَا )، والأعجب من ذلك أنه مطارد مشرد يبشر سراقة بأنه سوف يلبس سواري كسرى، هكذا الإيمان والاعتصام بالله.

كــان ﷺ إذا حــزبه أمر فزع إلى الصلاة، أي إذا نزل به أم أو أصابه غم لجأ إلى الله، فزع إلى الصلاة ليلجأ إلى الله، ويشكو إلى الله، ويناجي مولاه.

إنها الثقة بالله عند الشدائد، فهو يأوي إلى ركن شديد.

فــيا من وقعت بشدة أرفع يديك إلى السماء، وألح على الله بالدعاء والله يعصمك من الناس.

وإن كنــتَ مظلومــاً فأبشر فإن النبيَ ﷺ قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: وأتقِ دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب.

وعن أبي هريرة ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ : دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجرا ففجوره على نفسه.

ألا قولوا لشخص قد تقوى............على ضعفي ولم يخشى رقيبه

خبأت له سهاما في الليالي............ وأرجو أن تكون له مصيبة

أيهــا الأخوة والأخوات، إن من أعظم البلايا وأشد الرزايا ما يصيب المسلمين في كل مكــان مــن غزو واجتياح وتعديات ومظالم وفقر وتجويع حتى أصاب بعض النفوس الضعيفة اليأس والقنوط والإحباط وفقدان الثقة والأمل.

لمــاذا أيهــا الأخــوة ؟ أليس الأمر لله من قبل ومن بعد، أليس حسبنا الله وكفى بالله حســيبا، أليس الله بقادر، أليس هو الناصر وكفى بالله نصيرا، ألا يعلم الله مكرهم، ألم يقل:

( وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ).

أليس الله بكافي عبده: (أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ).

ألم يقل: (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ).
ألم يقل: (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).

معاشر الأخوة اسمعوا وعوا، وأعلموا وأعلنوا، إن مصيبتنا ليست بقوة عدونا، إنما هي بضعف صلتنا بربنا، وضعف ثقتنا وقلة اعتمادنا عليه، لنفتش في أنفسنا عند وقوعنا في الشدائد والمحن، أين الضراعة والشكوى لله، أين اللجاءة والمنجاة لله؟ ليس شيء أفضل عند الله من الدعاء لأن فيه إظهار الفقر والعجز، والتذلل والاعتراف بقوة الله وقدرته وغناه.

أيها المسلمون، نريد أن تعلم فن الدعاء والتذلل والخضوع والبكاء، لنعترف بالفقر إليه، ولنظهر العجز والضعف بين يديه، أليس لنا في رسول الله قدوة، أليس لنا فيه أسوة، أوذي أشد الأذى، وكذّب أشد التكذيب، أتهم بعرضه وخدشت كرامته، وطرد من بلده، عاشا يتيما وافتقر، ومن شدة الجوع ربط على بطنه الحجر، قيل عنه كذابُ وساحر، ومجنونُ وشاعر، توضعُ العراقيلُ في طريقه، وسلى الجزورِ على ظهره، يشجُ رأسُه، وتكسرُ رباعيتُه، يقتلُ عمه، جمعوا عليه الأحزابَ وحاصروه، المشركون والمنافقون واليهود.

يذهبُ إلى الطائفِ يبلغُ دعوتَه فيقابلَ بالتكذيبِ والسبِ والشتمِ، ويطُردَ ويلاحقَ ويرمى بالحجارةِ فماذا فعل -بأبي هوَ وأمي- ﷺ؟

أين ذهب، من يسأل، على من يشكو، إلى ذي الجبروتِ والملكوتِ، إلى القوي العزيز، فأعلن ﷺ الشكوى، ورفعَ يديه بالنجوى، دعاء وألحَ وبكاء، وتظلمَ وتألمَ وشكا، لكن اسمع لفنِ الشكوى وإظهار العجزِ والضعفِ والافتقار منه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:

اللهم إليك أشكو ضعفَ قوتِ وقلتَ حيلتي وهوانِ على الناس، يا أرحم الراحمين، إلى من تكلني إلى عدوٍ يتجهمني، أم إلى قريبٍ ملكتَه أمري، إن لم تكن ساخطاً عليَ فلا أُبالي، غير أن عافيتَك أوسعُ لي، أعوذ بنورِ وجهكَ الكريم، الذي أضاءت له

السماوات، وأشرقت له الظلمات، وصلُحَ عليه أمرُ الدنيا والآخرة، أن تُحلَ عليَ غضبَك أو تُنزلَ علي سخَطَك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حولَ ولا قوة إلا بك.

هكذا كان ﷺ ضراعة ونجوى لربه.

أيها الأخوة، لماذا نشكو إلى الناس، ونبث الضعف والهوان والهزيمة النفسية في مجالسنا، وننسى أو نتكاسل عن الشكوى لمن بيده الأمر من قبل ومن بعد: ( قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ).

أليس فينا من بينه وبين الله أسرار؟ أليس فينا أيها الأحبة أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره، أليس فينا من يرفع يديه إلى الله في ظلمة الليل يسجد ويركع، ينتحب ويرفع الشكوى إلى الله.

فلنشكو إلى الله ولنقوي الصلة بالله: (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ).

ومن الأدعية في المصيبة والكرب والشدة والضيق ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض رب العرش الكريم.

وفي رواية كان إذا حزبه أمر قال ذلك، قال النووي في شرح مسلم: هو حديث جليل ينبغي الاعتناء به والإكثار منه عند الكرب والأمور العظيمة، وقال الطبراني كان السلف يدعون به ويسمونه دعاء الكرب.

وأخرج أبو داوود وأحمد عن أبي بكرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: دعوات المكروب، اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفت عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت.

وأخـــرج الترمذي عن سعد ابن أبي وقاص ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ : دعوت ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدعو بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له.

لمـــا قالها يونس عليه السلام وهو في بطن الحوت، قال الله عز وجل: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَـــمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ)، قال ابن كثير في تفسيره: (وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ)، أي إذا كـــانوا في الشـــدائد ودعونا منيبين إلينا، ولا سيما إذا دعوا في هذا الدعاء في حال البلاء، فقد جاء الترغيب بها عن سيد الأنبياء.

وأخـــرج مســـلم من حديث أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقـــول: مـــا من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله إن لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيرا منها، إلا أخلف الله له خيرا منها.

قالت فلما مات أبو سلمة قلت في نفسي أي المسلمين خير من أبي سلمة؟

أو بيت هاجر إلى رسول الله، ثم إني قلتها –أي الدعاء– فأخلف الله لي رسول الله ﷺ

إذا فالاســـترجاع ملجأ وملاذ لذوي المصائب، ومعناه باختصار: إن لله توحيد وإقرار بالعبودية والملك، وإن إليه راجعون إقرار بأن الله يهلكنا ثم يبعثـــنا.

إذا فالأمـــر كله لله، ولا ملجأ منه إلا إليه، والله عز وجل يقول: ( وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِيـــنَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ).

❁❁❁ إلـــيكم أيها الأحبة أمثلة ومواقف للذين لجئوا إلى حصن الإيمان وسلاح الدعـــاء، وأدركوا أن المفزع بعد الإيمان هو الدعاء، السلاح الذي يستدفع به البلاء ويرد به شر القضاء.

عن أصبغ ابن زيد قال: مكثت أنا ومن عندي ثلاثا لم نطعم شيئا من الجوع، فخرجت إلي ابـــنتي الصغيرة وقالت يا أبتي الجوع، تشكو الجوع، قال فأتيت مكان الوضوء – انظـــروا إلى من اللجوء، انظروا إلى من يلجئون– فتوضأت وصليت ركعتين، وألهمت دعـــاء دعوت به وفي آخره: اللهم افتح علي رزقا لا تجعل لأحد علي فيه منة، ولا لك عـــلي فيه في الآخرة تبعة برحمتك يا أرحم الراحمين، ثم انصرفت إلى البيت فإذا بابنتي الكـــبيرة قامـــت إلي وقالت: يا أبه جاء رجل يقول أنه عمي بهذه الصرة من الدراهم وبحمـــال عليه دقيق وحمال عليه من كل شيء في السوق، وقال: أقرءوا أخي السلام وقول له إذا احتجت إلى شيء فأدعو بهذا الدعاء تأتيك حاجتك.

قال أصبغ ابن زيد والله ما كان لي أخو قط، ولا أعرف من كان هذا القائل، ولكن الله على كل شيء قدير.

فقلت للفكر لما صار مضطربا.......وخانني الصبر والتفريط والجلد
دعها سماوية تمشي على قدر..........لا تعترضها بأمر منك تـــنفسد
فحفني بخفي اللطف خالقنا......... نعم الوكيل ونعم العون والمدد

وعن شقيق البلخي قال: كنت في بيتي قاعدا فقال لي أهلي قد ترى ما بهؤلاء الأطفال من الجوع، ولا يحل لك أن تحمل عليهم ما لا طاقة لهم به، قال فتوضأت – نرجع إلى الســـبب الذي كانوا يدورون حوله رضوان الله عليهم– فتوضأت وكان لي صديق لا يزال يقسم علي بالله إن يكون لي حاجة أعلمه بها ولا أكتمها عنه، فخطر ذكره ببالي، فـــلما خرجـــت من المترل مررت بالمسجد، فذكرت ما روي عن أبي جعفر قال: من

عرضـــت له حاجة إلى مخلوق فليبدأ فيها بالله عز وجل، قال فدخلت المسجد فصليت ركعـــتين، فـــلما كنت في التشهد أفرغ علي النوم، فرأيت في منامي أنه قيل: يا شقيق أتدل العباد على الله ثم تنساه، يا شقيق أتدل العباد على الله ثم تنساه، قال فاستيقظت وعلمـــت أن ذلـــك تنبـــيه نبهني فيه ربي، فلم أخرج من المسجد حتى صليت العشاء الآخرة، ثم تركت الذهاب لصاحبي وتوكلت على الله، ثم انصرفت إلى المترل فوجدت الذي أردت أن اقصد قد حركه الله وأجرى لأهلي على يديه ما أغناهم.
إن ربي لسميع الدعاء، فلا نعجب أيها الأحبة، ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

وأسمع لدعا أبن القيم في الفاتحة يقول: ومكثت بمكة مدة يعتريني أدوار لا أجد لها طبيبا ولا دواء، فكنـــت أعالج نفسي بالفاتحة فأرى لها تأثيرا عجيبا، فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألما، فكان كثير منهم يبرأ سريعا.

وفي حديـــث أبي ســـعيد الخدري المتفق عليه لما قرأ على سيد الحي الفاتحة قال: فكأنما نشط من عقال، وهذا يشهد أيضا بفضل الفاتحة.

ومـــن المواقـــف الجميلة الطريفة في فضل الدعاء أنه كان لسعيد أبن جبير ديكا، كان يقـــوم من الليل بصياحه، فلم يصح ليلة من الليالي حتى أصبح، فلم يصلي سعيد قيام الليل تلك الليلة فشق عليه ذلك، فقال ماله قطع الله صوته –يعني الديك–؟
وكان سعيد مجاب الدعوة، فما سمع للديك صوت بعد ذلك الدعاء، فقالت أم سعيد: يا بني لا تدعو على شيء بعدها.

وذكـــر أحد الدعاة في بعض رسائله أن رجلا من العباد كان مع أهله في الصحراء في جهـــة البادية، وكان عابدا قانتا منيبا ذاكرا لله، قال فانقطعت المياه المجاورة لنا وذهبت التمس ماء لأهلي فوجدت أن الغدير قد جف، فعدت إليهم ثم التمسنا الماء يمنة ويسرة

فلم نجد ولو قطرة، وأدركنا الظمأ واحتاج أطفالي للماء، فتذكرت رب العزة سبحانه القريب المجيب، فقمت وتيممت واستقبلت القبلة وصليت ركعتين، ثم رفعت يدي وبكيت وسالت دموعي وسألت الله بإلحاح وتذكرت قوله:

(أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ).

قال وما هو والله إلا أن قمت من مقامي وليس في السماء من سحاب ولا غيم، وإذا بسحابة قد توسطت مكاني ومنزلي في الصحراء، واحتكمت على المكان ثم أنزلت ماءها فامتلأت الغدران من حولنا وعن يميننا وعن يسارنا فشربنا واغتسلنا وتوضئنا وحمدنا الله سبحانه وتعالى، ثم ارتحلت قليلا خلف هذا المكان وإذا الجدب والقحط، فعلمت أن الله ساقها لي بدعائي، فحمدت الله عز وجل:

(وَهُوَ الَّذي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ).

وذكر أيضا أن رجلا مسلما ذهب إلى إحدى الدول والتجأ بأهله إليها، وطلب بأن تمنحه جنسية، قال فأغلقت في وجهه الأبواب، وحاول هذا الرجل كل المحاولة وستفرغ جهده وعرض الأمر على كل معارفه، فبارت الحيل وسدت السبل، ثم لقي عالما ورعا فشكا إليه الحال، فقال له عليك بالثلث الأخير من الليل فأدعو مولاك، إنه الميسر سبحانه وتعالى، قال هذا الرجل: ووالله فقد تركت الذهاب إلى الناس وطلب الشفاعات، وأخذت أداوم على الثلث الأخير كما أخبرني ذلك العالم، وكنت أهتف لله في السحر وأدعوه، وما هو إلا بعد أيام وتقدمت بمعروض عادي ولم اجعل بيني وبينهم واسطة فذهب هذا الخطاب وما هو إلا أيام وفوجئت وأنا في بيتي أني ادعى وأسلم الجنسية، وكنت في ظروف صعبة.

إن الله سميع مجيب، ولطيف قريب، لكن التقصير منا، لابد أن نلح على الله وندعوه، وابشروا:

(إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ).

وأذكر أن طالبا متميز في دراسته حصل له ظرف في ليلة امتحان إحدى المواد، ولم يستطع أن يذاكر جميع المنهج المقرر للمادة إلا بقدر الثلث، فأهتم لذلك واغتم وضاقت عليه نفسه، ولم يستطع الإفادة من باقي الوقت لاضطراب النفس وطول المنهج.

فما كان منه إلا أن توضأ وصلى ركعتين وألح على الله بأسمائه وصفاته وباسمه الأعظم، يقول الطالب فدخلت قاعة الامتحان ووزعت أوراق الأسئلة، وقبل أن انظر فيها دعوت الله ورددت بعض الأذكار، ثم قلبت الورقة فإذا الأسئلة أكثرها من ذلك الثلث الذي درسته، فبدأت بالإجابة ففتح الله علي فتحا عجيبا لم ك أتصوره، ولكن ربي سميع مجيب.

## فإلى كل الطلاب والطالبات أقول:

لماذا غفلتم عن الدعاء والشكوى لله وأنتم تشكون لبعضكم وتزفرون وتتوجعون ؟
لماذا يعتمد الكثير منكم على نفسه وذكائه، بل ربما اعتمد البعض على الغش والاحتيال.

إن النفس مهما بلغت من الكمال والذكاء فإنها ضعيفة وهي عرضة للغفلة والنسيان، نعم لنفعل الأسباب ولنحفظ ولنذاكر ولنجتهد ولكن كلها لا شيء إن لم يعينك الله

ويفــتح علــيك، فلا حول ولا قوة إلا بالله في كل شيء، فهل طلبت العون من الله، توكل على الله، وافعل الأسباب، وارفع يديك إلى السماء وقل:
يا سامعا لكل شكوى، وأظهر ضعفك وفقرك لله وسترى النتائج بأذن الله.
وأنــت أيهــا المدرس والمدرسة، بل ويا كل داعية لماذا نعتمد على أنفسنا الضعيفة في التوجيه والتعليم، هب أننا أعددنا الدرس جيدا وفعلنا كل الأسباب، هل يكفي هذا؟
لعلك تسأل ما بقي؟
أقول هل سألت الله العون والتوفيق عند تحضير الدرس؟
هل سألت الله أن يفتح لك القلوب وأن يبارك في كلماتك وأن ينفع بها؟
هل سألت الله العون والتوفيق وأنت تلقي الدرس؟
هل دعوت لطلابك أن يبارك الله لهم وأن ينفع بهم وأن يصلحهم وأن ييسر عليهم.
هــذه بعــض الأمــثلة والمواقف، وما يعرف ويحكى أكثر وأكثر، ولكننا نريد العمل والتطبيق.

## *تنبيه مهم:*

كــثير مــن الناس إذا وقع بشدة عمد إلى الحرام، كمن يذهب للسحرة والكهان، أو يــتعامل بالربا والحرام، فإذا نصح أو ذكّر قال: أنه مضطر، أو كما يقول البعض ليس كمن رجله في النار كمن رجله في الماء.
ولعــلي أيها الحبيب أذكرك بآية ربما أنك نسّيتها في خضم المصيبة والشدة التي وقعت فيها، إن الله عز وجل يقول: (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ)،والمضطر الــذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدنيا إلى اللجأ والتضرع إلى الله كما يقول الزمخشري.

وعن حكم الذهاب إليهم أقول :

لا يجوز الذهاب للسحرة، لا لسؤالهم ولا لطلب حلّ السحر، فإن الساحر كالعراف والكاهن وقد قال رسول الله – ﷺ – : "من أتى كاهناً فسأله عن شيء فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل الله على محمد – ﷺ – " الترمذي (١٣٥) أبو داود (٣٩٠٤) ابن ماجة (٦٣٩) النسائي في الكبرى (٨٩٦٨) وأحمد (٩٢٩٠)، وكذلك لا يجوز تعلم السحر فإنه من علم الشياطين، وقد أخبر – سبحانه وتعالى – عن اليهود بأنهم يتبعون ما تتلوا الشياطين، قال تعالى: "وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ" الآية، [البقرة: ١٠٢] فهو من العلم الذي تلقيه الشياطين على أوليائها، فلا يجوز طلب هذا العلم فإنه يقوم على الشرك والكفر بالله، ولهذا قال سبحانه وتعالى في نفس الآية: "وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ" الآية [البقرة: ١٠٢].

فدلت الآية على أن تعلمه موجب للكفر لقوله تعالى: "وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر" [البقرة: ١٠٢] فالواجب الحذر من الذهاب للسحرة، بل الواجب الإنكار عليهم، والتبليغ عنهم لتطهير المجتمع من وجودهم، فإن وجودهم فساد للأمة، كما أن الواجب على المسلم أن يبتعد عن العلوم المحرمة والعلوم الضارة المفسدة للدين ومن شرها علم السحر، فنسأل الله سبحانه وتعالى العفو والعافية وصلاح أحوال المسلمين بمنه وكرمه، والله أعلم.

وأنت أيها الأخ، أو أيتها الأخت، تذكر أنك مضطر والمضطر وعده الله بالإجابة حتى وإن كـــان فاســـقا، فإذا كان الله قد أجاب دعوة المشركين عند الاضطرار فإن إجابته للمسلمين مع تقصيرهم من باب أولى.

جـــاء رجـــل إلى مـــالك ابن دينار فقال: أنا أسألك بالله أن تدعو لي فأنا مضطر، قال فاسأله فإنه يجيب المضطر إذا دعاه.

إن الله قـــد عز وجل قد ذم من لا يستكين له، ولا يتضرع إليه عند الشدائد، وانتبهوا أيهـــا الأحـــبة أنه لابد للضراعة والاستكانة لله عند الشدة كما أخبر الله فقال عز من قائل:

(وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ).

أي لو استكانوا لربهم لكان أمرا أخر، فكيف بحال من يقع بالشرك والحرام عند البلاء والشدة فيزيد الطين بلة، كيف يريد الشفاء أو انكشاف البلاء وهو يطلبه من مخلوقين مثله ضعفاء.

قـــال بعض السلف: قرأت في بعض الكتب المترلة أن الله عز وجل يقول: يؤمل غيري للشـــدائد والشـــدائد بيدي، وأنا الحي القيوم، ويرجى غيري ويطرق بابه بالبكرات وبيدي مفاتيح الخزائن وبابي مفتوح لمن دعاني، من ذا الذي أملني لنائبة فقطعن به؟

أو من ذا الذي رجاني لعظيم فقطعت رجاءه ؟

ومن ذا الذي طرق بابي فلم أفتحه له ؟

أنا غاية الآمال فكيف تنقطع الآمال دوني.

أبخيل أنا فيبخلني عبدي، أليست الدنيا والآخرة والكرم والفضل كله لي ؟

فما يمنع المؤملين أن يؤملوني، ولو جمعت أهل السماوات وأهل الأرض ثم أعطيت كل واحـــد منهم ما أعطيت الجميع، وبلغت كل واحد منهم أمله لم ينقص ذلك من ملكي

عضـــو ذرة، وكـــيف ينقص ملك أنا قيمه، فيا بأسا للقانطين من رحمتي، ويا بأسا لمن عصـــاني ووثـــب على محارمي. ذكر ذل ابن رجب في نور الاقتباس، والإسرائيليات يعتضد بها ولا يعتمد عليه كما يقول شيخ الإسلام أبن تيمية رحمه الله.

أيها الأخوة إن اللهَ يحبُ أن يُسأل، ويغضبُ على من لا يسألُه، فإنه يريدُ من عباده أن يرغـــبوا إليه ويسألوه، ويدعوه ويفتقروا إليه، ويحبُ الملحين في الدعاء، بل وينادي في كلِ ليلةٍ : هل من سأل فأعطيه، هل من داعٍ فأستجيب له.

فأين المضطرون، أين أصحابُ الحاجات، أين من وقع في الشدائدِ والكُربات.

معاشـــر الأخـــوة والأخـــوات، اقرءوا وانظروا في حادثة الإفك، وفي حديث الثلاثة أصـــحاب الغـــار، وحديـــث المغترب الذي وضع المال في الخشبة وألقاها في البحر، وحديـــث الثلاثة الذين خلفوا، وغيرها من القصص النبوي في الصحاح والسنن، فرج عـــنهم بسؤالهم لله، وإلحاحهم بالدعاء، رفعوا أيديهم إلى الله، وأعلنوا الخضوع والذل لله، وهذا الذل لا يصلح إلى لله، لحبيبه ومولاه.

ذل الفتى في الحب مكرمة.......وخضوعه لحبيبه شرف

فالعـــبوديةُ لله عزٌ ورفعةٌ، ولغيره ذلٌ ومهانة، وفي سؤال الله عبودية عظيمة لأنها إظهار للافتقار إليه، واعتراف بقدرته على قضاء الحوائج.

فإذا ابتليت ببذل وجهك سائلا......فأبذله للمتكرم المفضال

كان يحي ابن معاذ يقول: يا من يغضب على من لا يسأله لا تمنع من سألك.

وكـــان بكر المزني يقول: من مثل يا ابن آدم؟ متى شئت تطهرت ثم ناجيت ربك ليس بينك وبينه حجاب ولا ترجمان.

وســـأل رجل بعض الصالحين أن يشفع له في حاجة إلى بعض المخلوقين، فقال له أنا لا أترع بابا مفتوحا وأذهب إلى باب مغلق.

هكذا فلتكن الثقة بالله والتوكل على الله.

وقـبل الخـتام وحتى نصل إلى ما نريد من فن الشكوى وحسن النجوى تنبه إلى هذه التوجيهات:

*أولا: الدعاء له آداب وشروط:*

لابـد من تعلمها والحرص عليها، واسمع لهذا الكلام الجميل النفيس من ابن القيم رحمه الله قـال: وإذا جمـع العبد مع الدعاء حضور القلب وصادف وقتا من أوقات الإجابة وخشـوعا في القلب وانكسارا بين يدي الرب وذلا له وتضرعا ورقة واستقبل الداعي القبلة وكان على طهارة ورفع يديه إلى الله، وبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم ثنى بالصلاة على رسول الله، ثم قدم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار ثم دخل على الله وألح عليه في المسـألة وتملقه ودعاه رغبة ورهبة وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده، وقدم بين يدي دعائه صدقة فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبدا، ولا سيما إذا صادف الأدعية التي أخبر النبي ﷺ أنها مظنة الإجابة، وأنها متضمنة للإسم الأعظم. انتهى كلامه بتصرف.

*ثانيا: الصدقة:*

وقد أكد عليها أبن القيم في كلامه السابق، ولها أثر عجيب في قبول الدعاء، بل وفعل المعروف أيا كان وصنائع المعروف تقي مصارع السوء كما قال أبو بكر الصديق ﷺ، وبعضهم يرفعه إلى النبي ﷺ ، والله عز وجل يقول عن يونس عليه السلام: (فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ).

*ثالثا: عليك بالصبر وإياك واليأس والقنوط:*

وفي هـذا توجـيهات منها أن تعلم أن الدعاء عبادة، ولو لم يتوفر لك من دعائك إلا الأجـر على هذا الدعاء بعد إخلاصك لله عز وجل فيه لكفى، ومنها أن تعلم أن أعلم بمصلحتك منك، فيعلم سبحانه أن مصلحتك بتأجيل الإجابة أو عدمها، ومنها لا تجزع مـن عـدم الإجابة فربما دُفع عنك بهذا الدعاء شرا كان سيترل بك، فعن عبادة ابن

الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا أتـــاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها، ما لم يدعو بإثم أو قطيعة رحم، فقال رجل من القوم إذا نكثر، قال الله أكثر. وزاد فيه الحاكم: أو يدخر له من الأجر مثلها.

*رابعا: ربما كان عدم الإجابة أو تأخيرها امتحان لصبرك وتحملك وجلدك:*

وهل تستمر في الدعاء وفي هذه العبادة، أم تستحسر وتمل وتترك الدعاء، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يستجاب لأحكم ما لم يعجل يقول قد دعوت ربي فلم يستجب لي.

وفي روايـــة لمسلم قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم يستجاب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء.

*خامسا: أن تلقي باللوم على نفسك:*

وهـــي مـــن أهمهـــا، فقد يمون سبب عدم الإجابة وقوعك أنت في بعض المعاصي، أو التقصـــير وإخلالك بالدعاء أو تعديك فيه، فمن أعظم الأمور أن تتهم نفسك وتنسب التقصير وعدم الإجابة لنفسك، فهذا من أعظم الذل والافتقار لله.

وأسمـــع أيضـــا هـــذا الكلام الجميل النفيس لأبن رجب رحمه الله يقول: إن المؤمن إذا استبطأ الفرج ويئس منه ولا سيما بعد كثرة الدعاء وتضرعه ولم يظهر له أثر الإجابة، رجـــع إلى نفســـه باللائمة يقول لها إنما أتيت من قبلك، ولو كان فيك خيرا لأجبت، وهـــذا اللـــوم أحب إلى الله من كثير من الطاعات، فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه، واعـــترافه له بأنـــه ليس بأهل لإجابة دعائه، فلذلك يسرع إليه حين إذ إجابة الدعاء، وتفـــريج الكرب، فإنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله، وعلى قدر الكسر يكون الجبر. انتهى كلامه.

- *سادسا: تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة:*

قال سلمان الفارسي: إذا كان الرجل دعاء في السراء، فنزلت به ضراء فدعا الله عز وجل قالت الملائكة صوت معروف فشفعوا له، وإذا كان ليس بدعا في السراء فنزلت به ضراء فدعا الله عز وجل قالت الملائكة صوت ليس بمعروف.

أيها الأخوة، وأنا أتأمل في حديث الثلاثة أصحاب الغار وهم يدعون ويتوسلون إلى الله بصالح أعمالهم وأخلصها لله، أقول في نفسي وأفتش فيها أين ذلك العمل الصالح الخالص لله الخالي من حظوظ النفس، الذي سألجأ إلى الله فيه عند الشدة.

فلنرجع لأنفسنا ولنسألها مثل هذا السؤال، لنبحث في أعمالنا وعن الإخلاص لله فيها، ولنكن على صلة بالله في الرخاء، وصدق من قال:

إذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد......ذخرا يكون كصالح الأعمال

*سابعا: إن الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان بالله تعالى:*

وفيه اطمئنان للنفس وراحة للقلب، فأعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطئك لم يكن ليصيبك، وتذكر دائما أن كل شيء بقضاء وقدر، وأنه من عند الله.

*ثامنا: أحرص على أكل الحلال فهو شرط من شروط إجابة الدعاء:*

وفي الحديث: ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنا يستجاب له.

فالله الله بالحلال فإن له أثر عجيب في إجابة الدعاء، ربما قصرنا بوظائفنا، أي نوع من التقصير، وكان ذلك التقصير سبب في رد الدعاء أو إجابته، فلنتنبه لهذا أيها الأحبة.

*تاسعا: حتى تكون مجاب للدعوة إن شاء الله أكثر من الاستغفار في الليل والنهار:*

فلو لم يكن فيه إلا قول الحق عز وجل: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً)، فأين من يشكو الفقر والعقم والقحط عن هذه الآية.

هذه توجيهات أنتبه إليها قبل أن ترفع يديك إلى السماء لتكن مجاب الدعاء إن شاء الله.

إلى كل مصاب ومنكوب، وإلى كل من وقع في شدة وضيق أقول:

اطمأنوا فقد سبقكم أناس في هذا الطريق، وما هي إلا أيام سرعان ما تنقضي، وفي بطون الكتب المصنفة في الفرج بعد الشدة للتنوخي وأبن أبي الدنيا والسيوطي وغيرهم مئات القصص لمن مرضوا أو افتقروا أو عذبوا أو شردوا أو حبسوا أو عزلوا، ثم جاءهم الفرج ساقه لهم السميع المجيب.

فلك في المصابين أسوة قال ابن القيم في زاد المعاد كلام جميل أيضا فأسمعه:

قال ومن علاجه – أي علاج المصيبة– أن يطفأ نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب، وليعلم أنه في كل واد بنو سعد، ولينظر يمنة فهل يرى إلا محنة، ثم ليعطف يسرة فهل يرى إلا حسرة، وأنه لو فتش العلم لم يرى فيهم إلا مبتلى إما بفوت محبوب، أو حصول مكروه، وأن سرور الدنيا أحلام نوم أو كظل زائل، إن أضحكت قليلا أبكت كثيرا، وإن سرت يوما ساءت دهرا، وإن متعت قليلا منعت طويلا، وما ملئت دارا حبرة –أي سعادة– إلا ملأتها عبرة، ولا سرته بيوم سرور إلا خبأت له يوم شرور.

أيها الأخوة والأخوات، قصص القرآن والأحاديث في كتب السنة والقصص والمواقف في كتـــب الفـــرج بعـــد الشدة، والأحداث والعبر في واقعنا المعاصر جميعها تخبرنا أن الشدائد مهما طالت لا تدوم على أصحابها.

إذا اشتملت على اليأس القلوب.....وضاقت لما به الصدر الرحيب
و أوطنت المكاره واطمأنت..........وأرست غي أماكنها الخطوب
ولم ترى لانكشاف الضر وجها.........ولا أغني بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث.......... يجيء به القريب المستجيب
وكل الحادثات إذا تناهت........... فموصول بها الفرج القريب

ولـــو لم يكن في المصائب والبلايا إلا أنها سبب لتكفير الذنوب، وكسر لجماح النفس وغرورها، ونيل للثواب بالصبر عليها وتذكير بالعمة التي غفل عن شكرها.
وهي تذكر العبد بذنوبه، فربما تاب وأقلع عنها.
وهـــي تجلـــب عطف الناس ووقوفهم مع المصاب، بل من أعظم ثمار المصيبة أن يتوجه العبد بقلبه إلى الله، ويقف بابه ويتضرع إليه، فسبحان مستخرج الدعاء بالبلاء.
فالـــبلاء يقطـــع قلب المؤمن عن الالتفات للمخلوقين ويوجب له الإقبال على الخالق وحده، وهذا هو الإخلاص والتوحيد.
فإذا علم العبد أن هذه من ثمار المصيبة أنس بها وارتاح ولم يترعج، ولم يقنط، فإلى ذوي المصائب والحاجات والشدائد والكربات إن منهج القرآن يقول:
( وَعَسَـــى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ).
بل اسمعوا إلى هذه الآية العجيبة ففيها عزاء وتطمين لكل المسلمين قال تعالى:

( فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً).

فلماذا التسخط والجزع والشكوى والأنين فلعل في ما حصل خيرا لك فتفاءل وأبشر، واعتمد على الله وارفع يديك إلى السماء وقل: يا سامعا لكل شكوى.

واحسن الظن بالله وقل:

صبرا جميلا ما أسرع الفرج

من صدق الله في الأمور نجى

من خشي الله لم ينله أذى

من رجا الله كان حيث رجا

هذه كلمات لتسلية المحزونين، وتفريج كرب الملذوعين، وهي عزاء للمصابين وتطييب للمنكسرين.

أسأل الله أن ينفع بها المسلمين وأن يغفر لي ولك أجمعين.

فيا سامعا لكل شكوى، ويا عالما بكل نجوى.

يا سابغ النعم، ويا دفع النقم، ويا فارج الغمم، ويا كشف الظلل، ويا أعدل من حكم، ويا حسيب من ظلم، ويا ولي من ظُلم.

يا من لا تراه العيون، ولا تخالطه الظنون، ولا يصفه الواصفون، ولا تغيره الحوادث ولا الدهــور، يعــلم مثاقــيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ما يظلم عليه الليل ويشرق عليه النهار.

كم من نعمة أنعمت بها علينا قل لك عندها شكرنا، وكم من بلية ابتليتنا بها قل عندها صبرنا، فيا من قل عند نعمته شكرنا فلم يحرمنا، ويا من قل عند بلائه صبرنا فلم يخذلنا أقذف في قلوبنا رجائك، اللهم اقذف في قلوبنا رجائك، اللهم اقذف في قلوبنا رجائك حتى لا نرجو أحدا غيرك.

الـــلهم إنـــا نسألك إيمانا ثابتا، ويقينا صادقا حتى نعلم أنه لن يصيبنا إلا ما كتبت لنا، الـــلهم لا نهلك وأنت رجائنا، اللهم لا نهلك وأنت رجائنا احرسنا بعينك التي لا تنام وبركنك الذي لا يرام.

يا سامعا لكل شكوى، ويا عالما بكل نجوى، يا كاشف كربتنا، ويا مستمع دعوتنا، ويا راحم عبرتنا، ويا مقيل عثرتنا.

يا رب البيت العتيق أكشف عنا وعن المسلمين كل شدة وضيق، واكفنا والمسلمين ما نطيق وما لا نطيق، اللهم فرج عنا وعن المسلمين كل هم غم، وأخرجنا والمسلمين من كل حزن وكرب.

يـــا فارج الهم، يا كاشف الغم، يا منزل القطر، يا مجيب دعوت المضطر، يا سامعا لكل نجوى احفظ إيمان وأمن بلادنا، ووفق ولاة الأمر لما فيه صلاح الإسلام والعباد.

يـــا كاشـــف كـــل ضر وبلية، ويا عالم كل سر وخفية نسألك فرجا قريبا للمسلمين، وصـــبرا جميلا للمستضعفين، يا ذا المعروف الذي لا ينقضي أبدا، ويا ذا النعم التي لا تحصى أبدا، أسألك أن تصلي على محمد وعلى آلي محمد أبدا. محاضرة الشيخ الدويش



# أذكار الصباح والمساء

✿ عن أبيٍّ بْنِ كَعبٍ ﷺ : أنَّهُ كَانَ لهُ جُرْنٌ من تَمْرٍ، فكَانَ يَنْقصُ، فحَرَسَهُ ذَاتَ لَيْلَة، فإذَا هُوَ بدَابَّة شبْه الغُلاَمِ الْمُحْتَلمِ، فسَلَّمَ عَلَيْه، فرَدَّ ﷺ ، فقَالَ: مَا أَنْتَ؟ جِنِّيٌّ أَمْ إِنْسِيٌّ؟ قالَ: جنِّيٌّ. قَالَ: فَنَاوِلْنِي يَدَكَ! فنَاوَلَهُ يَدَهُ، فإذَا يَدُهُ يَدُ كَلْبٍ، وَشعْرُهُ شعْرُ كَلْبٍ، قَالَ: هَذَا خَلْقُ الجِنِّ؟ قَالَ: قَدْ عَلمَت الجنُّ أَنَّ مَا فِيهِمْ رَجُلاً أَشَدُّ منِّي، قَالَ: فَمَا جَاءَ بكَ؟ قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّكَ تُحبُّ الصدَقَةَ، فجئنَا نُصيبُ منْ طَعَامكَ. قَالَ: فَمَا يُنْجِينَا منْكمْ؟ قَالَ: هَذه الآيَةُ الَّتي في سُورَةِ البَقَرَة (( اللّهُ لاَ إِلَهَ إلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ )) ، مَنْ قَالَهَا حينَ يُمْسي أُجيرَ منَّا حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حينَ يُصْبِحَ أُجِيرَ منَّا حَتَّى يُمْسِي. فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى رَسُولَ الله ﷺ فذَكَرَ ذَلكَ لَهُ، فقَالَ: ( صَدَقَ الخَبِيثُ ). قال المنذري في " الترغيب " (١-٤٥٨): رواه النسائي والطبراني بإسناد جيد، واللفظ له.

✿ عَنْ عَبْد اللّه بْنِ خُبَيْب ﷺ، قَالَ: خَرَجْنَا في لَيْلَة مَطيرَة، وَظُلْمَة شَديدَة، نَطْلُبُ رَسُولَ اللّه ﷺ يُصَلّي لَنَا، قَالَ: فَأَدْرَكْتُهُ فقَالَ: ( قُلْ ). فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا. ثُمَّ قَالَ: ( قُلْ ). فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا. قَالَ: ( قُلْ ). فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: ( ((قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ )) وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ، حينَ تُمْسي وَتُصْبِحُ ثَلاَثَ مَرَّات تَكْفِيكَ منْ كُلِّ شَيْءٍ). صحيح سنن الترمذي (٢٨٢٩).

✿ عَنْ شَدَّاد بْنِ أَوْسٍ ﷺ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: ( سَيِّدُ الاسْتغْفَارِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لاَ إلَهَ إلاَّ أَنْتَ، خَلَقْتَني وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدكَ وَوَعْدكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بكَ منْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بنِعْمَتكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بذَنْبِي، فَاغْفرْ لي فَإنَّهُ لاَ يَغْفرُ الذُّنُوبَ إلاَّ أَنْتَ). قَالَ: ( وَمَنْ قَالَهَا منَ النَّهَارِ مُوقنًا بهَا فَمَاتَ منْ يَوْمه قَبْلَ أَنْ يُمْسيَ، فَهُوَ منْ أَهْلِ الْجَنَّة، وَمَنْ قَالَهَا منَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقنٌ بهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ منْ أَهْلِ الْجَنَّة ). رواه البخاري (٦٣٢٣).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه! مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ! قَالَ: ( أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ ). رواه مسلم (٢٧٠٩)

عَنْ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ﷺ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ( مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ، وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ ). وَكَانَ أَبَانُ قَدْ أَصَابَهُ طَرَفُ فَالِجٍ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ أَبَانُ: مَا تَنْظُرُ؟ أَمَا إِنَّ الْحَدِيثَ كَمَا حَدَّثْتُكَ، وَلَكِنِّي لَمْ أَقُلْهُ يَوْمَئِذٍ لِيُمْضِيَ اللَّهُ عَلَيَّ قَدَرَهُ. صحيح سنن الترمذي (٢٦٩٨).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ( مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلاَّ أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ ). رواه مسلم (٢٦٩٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ ﷺ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرْنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ، قَالَ: ( قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ ) قَالَ: ( قُلْهَا إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ). صحيح سنن أبي داود (٤٢٣٥)

✿ عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي.

اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي.

اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي). صحيح سنن أبي داود (٤٢٣٩).

✿ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ: ( اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ ). وَإِذَا أَمْسَى قَالَ: ( اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا وَبِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ). رواه البخاري في "الأدب المفرد" (١١٩٩) بسند صحيح.

✿ عَنْ أَبِي عَيَّاشٍ ﷺ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ( مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَانَ لَهُ عِدْلَ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَعِيلَ، وَكُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَحُطَّ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ فِي حِرْزٍ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُمْسِيَ. وَإِنْ قَالَهَا إِذَا أَمْسَى كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ ).

✿ قَالَ فِي حَدِيثِ حَمَّادٍ: فَرَأَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا عَيَّاشٍ يُحَدِّثُ عَنْكَ بِكَذَا وَكَذَا، قَالَ: ( صَدَقَ أَبُو عَيَّاشٍ ). صحيح سنن أبي داود (٤٢٤٠).

✿ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ أَنَّهُ قَالَ لأَبِيه: يَا أَبَت إِنِّي أَسْمَعُكَ تَدْعُو كُلَّ غَدَاةٍ: اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ. تُعِيدُهَا ثَلاَثًا حِينَ تُصْبِحُ، وَثَلاَثًا حِينَ تُمْسِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَدْعُو بِهِنَّ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِه.

وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، تُعِيدُهَا ثَلاَثًا حِينَ تُصْبِحُ، وَثَلاَثًا حِينَ تُمْسِي، فَتَدْعُو بِهِنَّ، فَأُحِبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِه. صحيح سنن أبي داود (٤٢٤٥)

✿ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولَ الله ﷺ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : ( مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تَسْمَعِي مَا أُوصِيكِ بِهِ أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْت وَإِذَا أَمْسَيت: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ وَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ ). رواه النسائي والبزار بإسناد صحيح.

✿ عَنْ أَبِي الدَرْدَاء ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ( مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِح عَشْراً وَحِينَ يُمْسِي عَشْراً، أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي يَومَ الْقِيَامَةِ ). رواه الطبراني بإسنادين أحدهما جيد.

✿ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ( إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: أَصْبَحْتُ أُثْنِي عَلَيْكَ حَمْداً، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، ثلاثاً، وَإِذا أَمْسَى فَلْيَقُلْ مِثْل ذَلِكَ ). رواه النسائي في "عمل اليوم والليلة" (٥٧١) بسند حسن.

✿ عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ( ما أَصْبَحْتُ غداةًقط إلاَّ اسْتَغْفَرْتُ اللهَ تَعَالَى فِيهَا مِائَةَ مَرَّةٍ ). رواه الطبراني في "الكبير" وصححه الألباني في "صحيح الجامع" ( ٥٥٣٤).

✿ عَن زَيْد بْنِ ثَابت ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ عَلَّمَهُ دُعَاء،وأَمَرَهُ أَنْ يَتَعَاهَدَ به أَهْلَهُ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ:

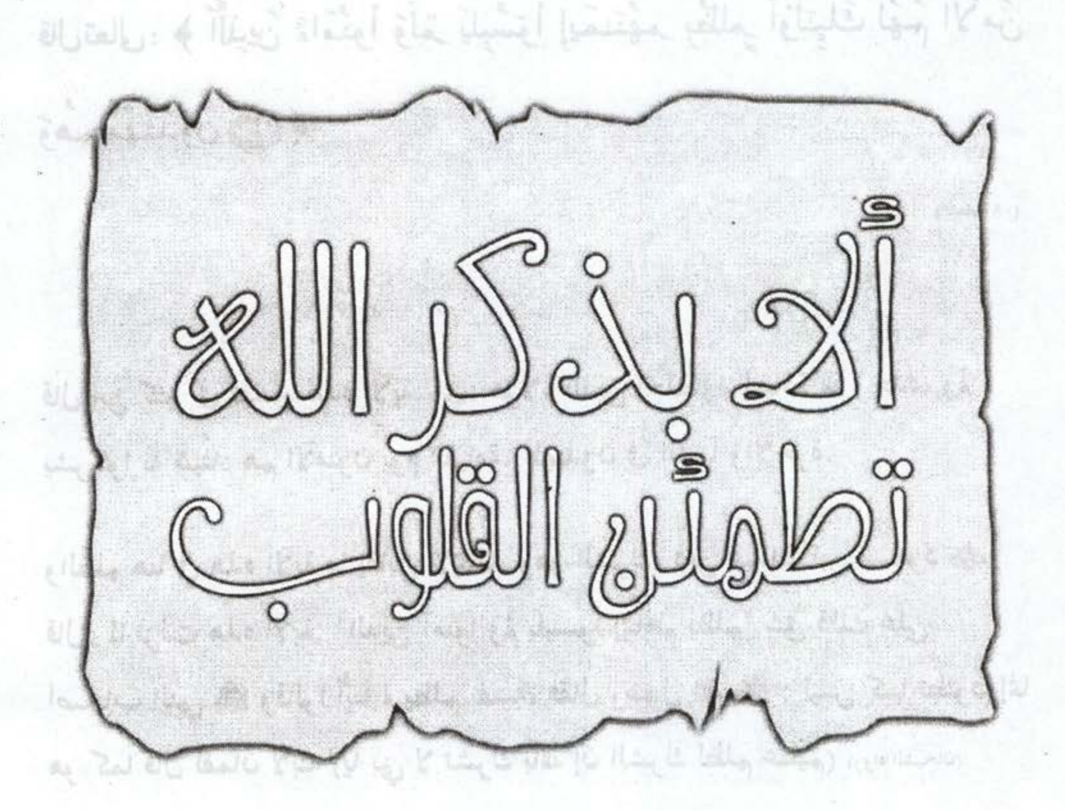
(قُلْ كُلَّ يَوْمٍ حِينَ تُصْبِحُ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، وَمِنْكَ وَبِكَ وَإِلَـيْكَ، اللَّهُمَّ مَا قُلْتُ مِنْ قَوْلٍ، أَوْ نَذَرْتُ مِنْ نَذْرٍ، أَوْ حَلَفْتُ مِنْ حَلِف، فَمَشِيئَتُكَ بَيْنَ يَدَيْه، مَا شِئْتَ كَانَ وَمَا لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ وَمَا صَلَّيْتُ مِنْ صَلاَةٍ فَعَلَى مَنْ صَلَّيْتَ، وَمَا لَعَنْتُ مِنْ لَعْنَةٍ فَعَلَى مَنْ لَعَنْتَ، إِنَّكَ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، تَوَفَّنِي مُسْلِمًا، وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ، أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاء، وَبَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَمَات، وَلَذَّةَ نَظَرٍ إِلَى وَجْهِكَ، وَشَوْقًا إِلَى لِقَـائِكَ، مِنْ غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلاَ فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، أَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ أَنْ أَظْلِمَ، أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَعْـتَدِيَ أَوْ يُعْـتَدَى عَلَـيَّ، أَوْ أَكْتَسِـبَ خَطِيئَةً مُحْبِطَةً أَوْ ذَنْبًا لاَ يُغْفَرُ، اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ، فَإِنِّي أَعْهَدُ إِلَيْكَ فِي هَذِه الْحَيَاة الدُّنْيَا، وَأُشْهِدُكَ- وَكَفَى بِكَ شَهِيدًا -أَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ وَحْدَكَ لاَ شَـرِيكَ لَـكَ، لَكَ الْمُلْكُ، وَلَكَ الْحَمْدُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّـدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ وَعْدَكَ حَقٌّ، وَلِقَاءَكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَ رَيْبَ فِيهَا، وَأَنْتَ تَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ إِنْ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي تَكِلْنِي إِلَى ضَعْفٍ وَعَوْرَةٍ وَذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، وَإِنِّي لاَ أَثِقُ إِلاَّ بِرَحْمَتِكَ، فَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ).رواه أحمد (٢٠٦٧٨) وحسنه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب".

✿ عَنْ عَمْرُو بْنِ شُعَيْب عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ( مَنْ قَالَ: "سُبْحَانَ اللهِ" مائةَ مَرّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، كَانَ أَفْضَلَ مِنْ مَائَةِ بَدَنَة، وَمَنْ قَالَ "الحَمْدُ للهِ" مائةَ مَرَّة قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، كَانَ أَفْضَلَ مِنْ مائة فَرَسٍ يَحْملُ عَلَيْهَا، وَمَنْ قَالَ: "اللهُ أكبرُ" مائةَ مَرّةٍ، قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، كَانَ أَفْضَلَ مِنْ عِتْقِ مائةِ رَقَبَة، وَمَنْ قَالَ: "لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " مائةَ مَرّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، لَمْ يَجِيء يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَدٌ بِعَمَلٍ أَفْضَلَ مِنْ عَمَلِه، إلاَّ مَنْ قَالَ قَوْلَهُ أَوْ زَادَ ). رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (٨٢١) وحسنه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب".

✿ عَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ: ( أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الإِسْلاَمِ، وَكَلِمَةِ الإِخْلاَصِ، وَدِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَمِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيم حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِين). رواه أحمد وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (٤٦٧٤).

✿ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضﷺ قَالَ: كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمْسَى قَالَ: ( أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى المُلْكُ للهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خيرَ مَا فِي هَذِهِ اللّيلَةِ وَخيرِ مَا بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ اللّيلَةِ وَشرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ). وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيْضاً: ( أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ للهِ ..). رواه مسلم (٢٠٨٩).

✿ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ( مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّــهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ قَالَهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَحَطَّ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا عَشْــرَ سَيِّئَاتٍ، وَرَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَكُنَّ لَهُ كَعَشْرِ رِقَابٍ، وَكُنَّ لَهُ مَسْلَحَةً مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى آخِرِهِ، وَلَمْ يَعْمَلْ يَوْمَئِذٍ عَمَلاً يَقْهَرُهُنَّ، فَإِنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي، فَمِثْلُ ذَلِكَ ). رواه أحمد بسندٍ صحيح



# فضل التوحيد وأثره في تكفير الذنوب

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

(الأنعام ٠٨٢)

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: أي: هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده، ولم يشركوا به شيئًا: هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة.

والظلم هنا في هذه الآية ما يقابل الإيمان، وهو الشرك، فعن عبدالله ابن مسعود ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية: "الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم" شقَّ ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا أيُّنا لم يظلم نفسه، فقال رسول الله ﷺ : ليس كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) (رواه الشيخان).

*والظلم أنواع:*

١-أظلم الظلم، وهو الشرك في حق الله تعالى.

٢-ظلم الإنسان نفسه، فلا يعطيها حقها، مثل أن يصوم فلا يفطر، ويقوم الليل فلا ينام.

٣-ظلم الإنسان غيره، مثل أن يتعدَّى على شخص بالضرب أو القتل أو أخذ مال، أو غير ذلك

فمن سَلِمَ من هذه الأنواع الثلاثة، كان له الأمن التام والاهتداء التام في الدنيا والآخرة.

فأما الأمن التام فيكون بالسلامة من الذنوب والمعاصي، فإن لم يسلم من الذنوب والمعاصي كان الأمن ناقصًا.

مثال ذلك: مرتكب الكبيرة، آمن من الخلود في النار، وغير آمن من العذاب، بل هو تحت المشيئة، قال تعالى: "إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفرُ ما دون ذلك لمن يشاء" (النساء/١١٦).

وأما الهداية في الدنيا فتكون بالاهتداء إلى شرع الله بالعلم والعمل، وتكون في الآخرة بالاهتداء إلى الجنة.

وعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ : "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى

مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل (متفق عليه).

وتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله أمر في غاية الصعوبة، ولهذا قال بعض السلف " كل معصية، فهي نوع من الشرك"، وقال بعضهم أيضًا: "ما جاهدت نفسي على شئ مجاهدتها على الإخلاص"، ولا يعرف هذا إلا المؤمن، أما غير المؤمن، فلا يجاهد نفسه على الإخلاص، ولهذا قيل لابن عباس: "إن اليهود يقولون: نحن لا نوسوس في الصلاة، قال: فما يصنع الشيطان بقلب خرب"، وذلك لأن الشيطان لا يأتي ليخرِّب المهدوم، ولكن يأتي ليخرِّب المعمور.

كما أنه يجب على كل مسلم أن يحقق الشهادة بأن محمدًا ﷺ رسول الله، ويكون بأن نعتقد ذلك بقلوبنا، ونعترف به بألسنتنا، ونطبق ذلك في متابعته ﷺ بجوارحنا، فنعمل بهدية، ويكون عملنا لله جلّ وعلا وليس للنبي صلى ﷺ .

*أما ما ينقص تحقيق هذه الشهادة فهو:*

١-فعل المعاصي، وذلك لأن في فعل المعصية خروج عن اتباع النبي ﷺ .

٢-الابتداع في الدين ما ليس منه، لأن في ذلك تقرب إلى الله بما لم يشرعه الله ورسوله.

وفي هذا الحديث فائدة عظيمة وفضل عظيم، إذ يُبيِّن لنا النبي ﷺ أن الله جل وعلا يُدخل الموحِّدين الجنة على ما كان من العمل، وإدخال الجنة ينقسم إلى قسمين:

١-إدخال كامل لم يُسبق بعذاب لمن أتمَّ العمل.

٢-إدخال ناقص مسبوق بعذاب لمن نقص العمل.

وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "قال الله تعالى: يا أبن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا: لأتيتك بقرابها مغفرة".

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله" (رواه الشيخان).

## ولكلمة التوحيد أثر عظيم عند الموت:

يقول ابن القيم رحمه الله: لِشهادة أن لا إله إلا الله عند الموت تأثير عظيم في تكفير السيئات وإحباطها، لأنها شهادة من عبد موقن بها، عارف بمضمونها، قد ماتت منه الشهوات، ولانت نفسه المتمردة، وانقادت بعد إبائها واستعصائها، وأقبلت بعد إعراضها، وذلَّت بعد عزِّها، وخرج منها حرصها على الدنيا وفضولها، واستخذت بين يدي ربها وفاطرها ومولاها الحق أذلَّ ما كانت له وأرجى ما كانت لعَفوه ومغفرته ورحمته، وتجرد منها التوحيد بانقطاع أسباب الشرك وتحقق بطلانه، فزالت منها تلك المنازعات التي كانت مشغولة بها، واجتمع همها على من أيقنت بالقدوم عليه والمصير إليه، فَوَجَّه العبد وَجْهَهُ بِكلِّيَّتِه إليه، وأقبل بقلبه وروحه وهمِّه عليه، فاستسلم له وحده ظاهرًا وباطنًا، واستوى سره وعلانيته، فقال: لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه، وقد تخلص

قلبه من التعلق بغيره والالتفات إلى ما سواه، قد خرجت الدنيا كلها من قلبه، وشارف القدوم على ربه، وخمدت نيران شهوته، وامتلأ قلبه من الآخرة، فصارت نصب عينيه، وصارت الدنيا وراء ظهره، فكانت تلك الشهادة الخالصة خاتمة عمله، فطهَّرته من ذنوبه، وأدخلته على ربه، لأنه لقي ربه بشهادة صادقة خالصة، وافق ظاهرها باطنها وسرها علانيتها.

فاللهم كفر عنا خطايانا وارزقنا من فضلك التوحيد الخالص والله الموفق

